بسم الله الرحمن الرحيم

النصوص اللغوية

نصوص من كتابي الخصائص والمزهر في علوم اللغة

مكتبة تحقيق اللغة العربية
التاريخ: ٢٠٠٦/٧/٢٦
الرقم: ٩٢٣٣

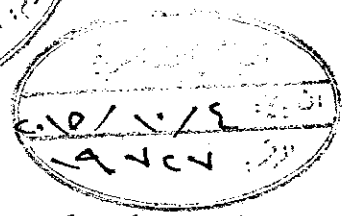
٢٠١٥/١٠/٤
٩٧٧٧

النصوص اللغوية

نصوص من كتابي الخصائص والمزهر في علوم اللغة

اختارها وقدم لها وعلق عليها

الدكتور مازن المبارك

أستاذ بجامعة قطر

دار الفكر

الطبعة الثالثة
١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م

دار الفكر - دمشق - ساحة الحجاز
ص . ب (٩٦٢) - برقيًا (فكر) هاتف (١١١٠٤١)

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه نصوص مختارة من كتاب (الخصائص) لأبي الفتح عثمان بن جني ، ومن كتاب (المزهر في علوم اللغة) لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، وهما الكتابان المشهوران في فقه اللغة ؛ اشتهر أولهما بعمقه وحسن بيانه ، واشتهر الثاني منهما باستيعابه وحسن تبويبه .

وقد كان في الكتابين — لو أنهما مبذولان في الأسواق — ما يغني عن هذه المختارات ، ولكن نسخهما قد عزّت ، وطلاب العربية إليهما في حاجة ، فرأينا أن نجمع هذه النصوص المختارة، ونخرجها في كتاب يؤنق الطالبَ شكله ويغريه بالاحتفاظ به في مكتبته ، ويجعله يؤثره على الأمالي التي دأبنا على تقديمها له ، والتي سرعان ما تهترىء وتضيع .

وإنا لنسأل الله أن يسدّد الخطا، وأن يحقق من عملنا ما رجونا من نفع وما أردنا من غاية ، وما غايتنا من دراسة النصوص اللغوية إلا أن يكون طلاب العربية على صلة بمصادر لغتهم ، وأن يتمرّسوا بأساليب القدماء في معالجة البحوث اللغوية .

وقد رأينا ، إتماماً للفائدة ،أن نقدّم للنصوص بلمحة موجزة تعرّف بصاحب الكتاب الذي اقتبسنا منه النصوص. كما تعرّف بالكتاب نفسه، كما رأينا أن نشرح ما استغلق من ألفاظ النص، ونعلق على بعض ما ورد فيه من الشواهد والأفكار .

مؤلف كتاب (الخصائص) :

هو أبو الفتح عثمان بن جني ، الروميّ أصلاً الأزدي ولاء . عاش في القرن الرابع ومات سنة ٣٩٢ هـ . كان معروفاً بحسن الخُلق وعفة اللسان وملازمة الجدّ والوقار ، كأنه عرف في كتاباته بالأمانة في النقل وبالوفاء لمن ينقل عنهم ، وبالتحرّي في البحث ؛ فأنت تقرأ في كتبه فتجده يعزو الأخبار والأقوال إلى أصحابها ، ويثني على من يذكر فيها من العلماء حتى أولئك الذين يخالفهم في الرأي أو المذهب ، ويحرص على ألاّ يأخذ إلا عمّن سلمت فطرته وصحّت لغته ، وهو يرى (ترك الأخذ عن أهل المَدَر كما أخذ عن أهل الوبر) نظراً لما عرض للغات الحاضرة وأهل المدر من الاختلال والفساد والخطل .

والقاعدة عنده في ذلك أنه « لو عُلم أنّ أهل مدينة باقون على فصاحتهم ، ولم يعترض شيء من الفساد للغتهم ، لوجب الأخذ عنهم كما يؤخذ عن أهل الوبر . وكذلك أيضاً لو فشا في أهل الوبر ما شاع في لغة أهل المدر من اضطراب الألسنة وخبالها ، وانتقاض عادة الفصاحة وانتشارها ، لوجب رفض لغتها ، وترك تلقّي ما يرد عنها[1] » .

---

(١) الخصائص ٢ : ٥ .

اتصل ابن جني بعدد من شيوخ عصره ورجالاته ، ويبدو أن شيخه أبا علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي المتوفى سنة ٣٨٧هـ كان أبعدهم أثراً في تثقيفه وتنشئته ، وقيل إن صحبته له دامت أربعين سنة ، وكانت صحبة قائمة على تبادل المحبة والإعجاب والتقدير ؛ كان الشيخ يرى في تلميذه آية الذكاء والنبوغ ، وكان ابن جني يرى في شيخه الغاية في العلم والانكباب عليه والتفرّغ له. وما ذكر ابن جني شيخه الفارسي مرة إلا قرن ذكره بالتجلّة والتقدير ، إنه — في رأيه — انتزع ثلث ما انتزع العلماء جميعاً من علل العربية [١] ، وإنه — عنده — لقوّي القياس في العربية كثير الشغف بها حتى كأنه كان مخلوقاً لها [٢] .

وقد كانت لأبي علي الفارسي آثار كثيرة ، ولكننا لا نبالغ إذا قلنا إن تلميذه ابن جني كان من أشهر تلك الآثار وأبعدها ذكرا ، وإنه كان يكفي الفارسيّ من آثاره هذه الغرسة الطيبة التي تعهدها بالتنشئة والتعليم حتى نمت وربت وآتت أطيب الثمار .

على أن هذه الصلة القوية بين ابن جني وشيخه لم تكن ، رغم استمرارها وعمقها ، لتذيب شخصية التلميذ في الشيخ أو تحول دون تفرّده في الرأي واستقلاله في المذهب ومخالفته لآراء شيخه ؛ وحسبك دليلاً على ذلك موقف ابن جني من الشاعر أبي الطيب المتنبي ورأيه فيه . فلقد تبادل

(١) الخصائص ١ : ٢٠٨ .
(٢) الخصائص ١ : ٢٧٧ .

الرجلان المحبة والتقدير ، وعرف كل منهما قدر صاحبه ، فكان المتنبي يقول عن ابن جني : « هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس . » وكان كثيراً ما يُسأل عن معنى بيت من شعره فيحيل السائل على ابن جني ، ثقة منه بعلمه وفهمه . وكذلك كان ابن جني معجباً بأبي الطيب فكان يثني عليه ، وكان يكني عنه بقوله (شاعرنا) وكان من أسرع العلماء إلى شرح ديوانه ، على حين أن شيخه الفارسي كان يكره المتنبي ويستثقله ، ويعلن ذلك على الناس حتى يضيق ابن جني ذرعاً بكره أستاذه للشاعر ، ويحتال ليسمعه أبياتاً متفرقة من شعره دون أن يخبره أنها له حتى إذا نالت إعجاب الشيخ وسأل عن صاحبها ، أخبره بلباقة وأدب ثم قال له « وما علينا من القشور إذا استقام اللب . » واستطاع أن ينتزع من شيخه إعجابه بالمتنبي وأن يحببه إليه [1] .

وابن جني لغوي ثقة ، وراوية مصدَّق ، تنقل عنه معجمات اللغة وتذكر ما ينفرد به من ألفاظ واستعمالات [2] .

وهو أديب يمتاز أسلوبه بمتانة التركيب ، وبلاغة العبارة ، ووضوح الفكرة ، وتراه يميل أحياناً إلى الإطناب أو التكرار ، شأن من لا يغادر الفكرة قبل التثبت من وضوحها واقتناع القارىء بها . وهو يستقصي

---

(١) انظر مادار من حوار لطيف بين الشيخ وتلميذه في الصبح المنبي : ٩١ .

(٢) وانظر ماقاله الأستاذ النجار من إغارة ابن سيده على أقوال ابن جني ، في مقدمة الخصائص ١ : ٢٩ - ٣١ .

في بحثه، ويكثر من ضرب الأمثلة ولمّ الأجزاء بعضها إلى بعض، ليستقيم له بعد ذلك استنتاج يصل إليه أو حكم يطلقه .

وابن جني في النحو بصري المذهب ، إذا ذكر البصريين كنى عنهم بقوله (أصحابنا) وأخذ في أكثر المسائل بآرائهم، ولكنه ليس متعصباً لهم، ولا كارهاً لغيرهم، بل لقد ذكر أئمة الكوفيين بخير؛ فأثنى على الكسائي [1] ودافع عن ثعلب [2] .

على أن شهرة ابن جني في معرفة اللغة وفقه أسرارها وأحكام التصريف فيها، طغت على شهرته في سائر علومها ، وكانت له شهرة خاصة في بحث الاشتقاق لما له فيه من آراء جديدة لم يسبق إليها ؛ فهو أول من بحث في الاشتقاق الأكبر ـ على حدّ تسميته ـ وأول من أطلق عليه هذه التسمية فقال : « هذا موضع لم يسمّه أحد من أصحابنا ، غير أن أبا علي، رحمه الله ، كان يستعين به ويخلد إليه مع إعواز الاشتقاق الأصغر لكنه مع هذا لم يسمّه ، وإنما كان يعتاده عند الضرورة ويستروح إليه ويتعلّل به ، وإنما هذا التلقيب لنا نحن » [3] .

---

(١) انظر الخصائص ٢ : ٨٩ .

(٢) انظر ما جاء في مقدمة الخصائص ١ : ٤٦ نقلاً عن الجزء المخطوط من سر الصناعة.

(٣) الخصائص ٢ : ١٣٣ .

آثار ابن جنّي :

لا بن جني مؤلفات جياد كادت تبلغ الخمسين عدًّا [1]. منها :

١ ـ سرّ الصناعة : وموضوعه الكلام على حروف المعجم أو حروف الهجاء من الناحية الصوتية ، وقد تناول فيه صفات الحروف ومخارجها، ودرسها مفردة ومركبة ، كما استطرد فيه إلى الكلام على بعض حروف المعاني . وهو كتاب قيّم ، طبع الجزء الأول منه فقط بعنوان (سرّ صناعة الإعراب) .

٢ ـ المُنصف : وهو شرح ابن جني لكتاب أبي عثمان المازني المسمّى بـ (التصريف) . فقد رأى ابن جني أن كتاب المازني أنفس كتب التصريف وأسدّها وأرصنها ، عريق في الإيجاز والاختصار ، غارٍ من الحشو والإكثار ، قليل الألفاظ كثير المعاني ، فآثر شرحه وتفسير مشكله وكشف غامضه .

وفي الكتاب مقدمة عن علم الصرف والحاجة إليه، وعمّا بين الصرف والنحو والاشتقاق واللغة من صلة . وهو في أربعة أجزاء .

---

(١) انظرها في مقدمة الخصائص ١ : ٦٠ – ٦٩ .

٣ ـ التام في تفسير أشعار هـذيل : وهو تفسير ما أغفله السكري من أشعار الهذليين . وقد طبع في بغداد سنة ١٩٦٢ .

٤ ـ المحتسَب في شرح شواذّ القراءات . وقد طبع منه الجزء الأول .

٥ ـ تفسير معاني ديوان المتنبي .

٦ ـ الخصائص : وهو من أثمن كتب العربيـــة ، وأجدرها باسم (الخصائص) أو خصائص العربية ، وأدخلها في موضوع فقه اللغة ، وأولاها بأن يحمل اسم هذا العلم . وضعه ابن جني بعد طول تأمل وتفكير وأحاطه بعنايته ، وبذل فيه جهده ، وقـد ذكر ذلك فقال في أوله : « هذا .... كتاب لم أزل على فارط الحال ، وتقادم الوقت ، ملاحظاله ، عاكف الفكر عليه ، منجذب الرأي والروّية إليه ، وادّا أن أجد مهملاً أصله به ، أو خللاً أرتقه بعمله ، والوقت يزداد بنواديـه ضيقاً ، ولا ينهج لي إلى الابتداء طريقا ، هذا مع إعظامي له ، وإعصامي بالأسباب المناطة به ، واعتقادي فيه أنه من أشرف ما صنّـف في علم العرب ، وأذهبه في طريق القياس والنظر ، وأعوده عليه بالحيطة والصـوْن ، وآخذه له من حصّة التوقير والأوْن [١] وأجمعه للأدلّة على ما أودعته هذه اللغة الشريفة من خصائص الحكمة ، ونيطت به من علائق الإتقان والصنعة ، فكانت مَسافر وجوهه ، ومحاسر أذرعه وسوقه ، تصف لي ما

---

(١) الأون : الدعة والسكينة والرفق ، وهو آين أي رافه وادع .

اشتملت عليه مشاعره ، وتحي [1] إليّ بما خيطت عليه أقرابـــه [2] وشواكله [3] ،وتريني أن تعريد [4] كل من الفريقين: البصريين والكوفيين عنه ، وتحامـيهم طريق الإلمام به ، والخوض في أدنى أوشاله [5] وخُلـجه ، فضلاً عن اقتحام غماره ولجه ، إنما كان لامتناع جانبه ، وانتشار شعاعه ، وبادي تهاجر قوانينه وأوضاعه . وذلك أنّا لم نر أحداً من علماء البلدين تعرّض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه » [6] .

لقد كان ابن جني إذاً يدرك وعورة ما يقدم عليه ، ولكنه كان أيضاً يدرك قيمته ووجوب الخوض فيه ، وخاصة حين رأى أنـه لم يقدم عليه أحد من علماء البصريين و الكوفيين ، فقد تحاموا أن يضعوا في أصول العربية كتاباً على نحو ما وضع علماء الفقه والكلام في علومهم .

وأدار ابن جني الكلام في كتابه على موضوعات هي من اللغة أصولها وفلسفتها وفقهها ؛ فتناول أصل اللغة ، وكيف نشأت ؟ وتحدث عن الإعراب ، والبناء ، والعلة ، والسماع ، والقياس ، والاحتجاج ، والإجماع

---

(١) الوَحَى على زنة الوغى ، كالوحي . ومنه وحَى يحي .

(٢) القرب ، بضمة وضمتين : الخاصرة ، والجمع أقراب .

(٣) الشاكلة من الفرس : بين عرض الخاصرة والركبة ، والجمع شواكل .

(٤) عرّد تعريدا : هرب .

(٥) الوشَل : الماء القليل يتحلب من مكان مرتفع فلا يتصل قطره . والماء الكثير ، فهي من الأضداد . والمعنى الأول هو المراد في النص .

(٦) الخصائص ١ : ١ - ٢ .

والاشتقاق ... غير ناس أن «هذا الكتاب ليس مبنياً على حديث وجوه الإعراب ، وإنما هو مقام القول على أوائل أصول هذا الكلام ، وكيف بدىء وإلام نحي ، وهو كتاب يتساهم ذوو النظر من المتكلمين والفقهاء والمتفلسفين والنحاة والكتّاب والمتأدبين للتأمل له والبحث عن مستودَعه ، فقد وجب أن يخاطب كل إنسان منهم بما يعتاده ويأنس به ليكون له سهم منه وحصّة فيه »[1] .

والكتاب واضح الدلالة على ما كان يتصف به ابن جني : من معرفة واسعة وعميقة بألفاظ العرب وأساليب لغتهم وأسرارها، ومن قدرة على القياس والاستنتاج ، ومن اعتماد على النفس واستقلال في الرأي ، ومن ذكاء وبعد نظر .

وهو مطبوع طبعة علمية جيّدة في ثلاثة أجزاء بتحقيق الاستاذ العالم محمد علي النجار .

---

(١) الخصائص ١ : ٦٧ .

مصادر ترجمة ابن جني

آ ـ قديمة :

الكتاب	المؤلف	سنة وفاته	ج	ص	الطبعة
١ ـ يتيمة الدهر	الثعالبي	(٤٢٩ هـ)	١	: ٧٧	الطبعة القديمة
			١	: ١٢٤	طبعة محي الدين عبد الحميد
٢ ـ نزهة الألبا	لابن الأنباري	(٥٧٧هـ)		: ٤٠٦	الطبعة القديمة
٣ ـ معجم الأدباء	لياقوت	(٦٢٥هـ)	١٢	: ٨١ ـ ١١٥	
			٥	: ١٥ ـ ٣٢	طبعة مرجليوث
٤ ـ وفيات الأعيان	لابن خلكان	(٦٨١هـ)	٢	: ٤١٠	طبعة محي الدين عبد الحميد
٥ ـ بغية الوعاة	للسيوطي	(٩١١هـ)		: ٣٢٢	

ب ـ حديثة :

١ ـ مقدمة الخصائص للأستاذ المحقق محمد علي النجار (طبعة دار الكتب بالقاهرة)

٢ ـ مقدمة كتاب سر صناعة الإعراب .

٣ ـ ابن جني وفلسفته اللغوية : محمد القصاص

٤ ـ مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (المجمع العلمي العربي سابقاً)
مقال للدكتور محمد أسعد طلس في أجزاء المجلدات ٢٤ ـ ٣٢ .

النص الأول [1]

باب في هذه اللغة :

أفي وقت واحد وضعت أم تلاحق تابع منها بفارط [2] ؟

قد تقدم في أول الكتاب القول على اللغة : أتواضع هي أم إلهام ؟ وحكينا وجوزنا فيها الأمرين جميعاً [3] . وكيف تصرفت الحال ، وعلى أي الأمرين كان ابتداؤها ، فإنها لابدّ أن يكون وقع في أول الأمر بعضها ، ثم احتيج فيما بعد إلى الزيادة عليه ، لحضور الداعي إليه ، فزيد فيها شيئاً فشيئاً ، إلا أنه على قياس ما كان سبق منها في حروفه ، وتأليفه وإعرابه المبين عن معانيه ، لا يخالف الثاني الأول ، ولا الثالث الثاني ، كذلك متصلاً متتابعاً . وليس أحد من العرب الفصحاء إلاّ يقول إنه يحكي كلام أبيه وسلفه ، يتوارثونه آخر عن أول ، وتابع عن متّبع .

---

(١) من كتاب الخصائص ٢ : ٢٨ .

(٢) فَرَط إليه مني قول : سبق . وفَرَطتُ القوم : سبقتهم ، فأنا فارط ، والجمع فُرّاط .

(٣) وذلك في الجزء الأول ص ٤٠ في (باب القول على أصل اللغة أإلهام هي أم اصطلاح ؟) .

ويتردد ابن جني في هذا الباب بين الرأيين : كون اللغة إلهاماً وكونها اصطلاحاً ، ثم يقف ، بينهما حسيرا ، ويكاثرهما فينكفىء مكثورا ، ويقول « وإن خطر خاطر فيما بعد يعلق الكفّ بإحدى الجهتين ويكفها عن صاحبتها قلنا به » ١ : ٤٧ .

وليس كذلك أهل الحضر، لأنهم يتظاهرون بينهم بأنهم قد تركوا وخالفوا كلام من ينتسب إلى اللغة العربية الفصيحة . غير أن كلام أهل الحضر مضاهٍ لكلام فصحاء العرب في حروفهم ، وتأليفهم ، إلا أنهم أخلّوا بأشياء من إعراب الكلام الفصيح . وهـــذا رأي أبي الحسن [1] ، وهو الصواب .

وذهب إلى أن اختلاف لغات العرب إنما أتاها من قِبل أن أول ما وضع منها وضع على خـلاف ، وإن كان كله مسوقاً على صحة وقياس ، ثم أحدثوا من بعد أشياء كثيرة للحاجة إليها ، غير أنها على قياس ما كان وضع في الأصل مختلفاً ، وإن كان كل واحـد آخذاً من صحة القياس حظاً . ويجوز أيضاً أن يكون الموضوع الأول ضرباً واحداً ، ثم رأى من جاء من بعد أن خالف قياس الأول إلى قياس ثان جار في الصحّة مجرى الأول .

ولا يبعد عندي ما قال من موضعين : أحدهما سعة القياس ، وإذا كان كذلك جازت فيه أوجه لا وجهان اثنان ، والآخر أنه كان يجوز أن يبدأ الأول بالقياس الذي عدل إليه الثاني ، فلا عليك أيهـما تقدم ، وأيهما تأخر . فهذا طريق القول على ابتداء بعضها ولحاق بعضها به .

فأما أي الأجناس الثلاثة تقدم ـ أعني الاسماء، والأفعال ، والحروف ـ فليس مما نحن عليه في شيء ، وإنما كلامنا هنا : هل وقع جميعهـا في

(١) أبو الحسن : سعيد بن مسعدة الأخفش . زميل سيبويه والطريق إلى كتابه . مات سنة ٢١٠ هـ وانظر أمانة ابن جني في عزو الرأي إلى صاحبه والثناء عليه .

وقت واحد ، أم تتالت وتلاحقت قطعة قطعة ، وشيئاً بعد شيء ، وصدراً بعد صدر .

وإذ قد وصلنا من القول في هذا إلى هاهنا فلنذكر ما عندنا في مراتب الاسماء ، والأفعال ، والحروف ، فإنه من أماكنه وأوقاته [1] .

اعلم أن أبا عليّ ـ رحمه الله ـ كان يذهب إلى أن هذه اللغة ـ أعني ما سبق منها ثم لحق به ما بعده ـ إنما وقع كل صدر منها في زمان واحد. وإن كان تقدم شيء منها على صاحبه فليس بواجب أن يكون المتقدم على الفعل الاسم ، ولا أن يكون المتقدم على الحرف الفعل ، وإن كانت رتبة الاسم في النفس من حصة القوة والضعف أن يكون قبل الفعل ، والفعل قبل الحرف . وإنما يعني القوم بقولهم : إن الاسم أسبق من الفعل ، أنه أقوى في النفس ، وأسبق في الاعتقاد من الفعل ، لا في الزمان . فأما الزمان فيجوز أن يكونوا عند التواضع قدّموا الاسم قبل الفعل

---

(١) الأسماء والأفعال والحروف ، أيها أسبق في المرتبة والتقدم ؟

سؤال تناوله القدماء بالبحث وحاولوا الإجابة عنه ، وفي كتاب « الإيضاح في علل النحو » لأبي القاسم الزجاجي المتوفى سنة ٣٣٧ باب عنوانه (باب القول في الاسم والفعل والحرف . أيها أسبق في المرتبة والتقدم ؟ » الايضاح ص : ٨٣ .

ورأي الفارسي كما في النص أعلاه : اللغة إنما وقع كل صدر منها في زمن ، وكل صدر منها يحتوي على الأسماء والأفعال والحروف . والتفاضل بينها إنما هو في القوة والضعف في النفس والاعتقاد لا في الوجود والزمان .

ورأي ابن الأنباري : أنه قدم الاسم على الفعل ، والفعل على الحرف . وانظر أسرار العربية : ٩ .

ورأي البصريين أن الأسماء قبل الأفعال والحروف تابعة للاسماء . وانظر الايضاح في علل النحو : ٨٣ .

مكتبة
مجمع اللغة العربية
بدمشق

ويجوز أن يكونوا قدموا الفعل في الوضع قبل الاسم ، وكذلك الحرف. ذلك أنهم وزنوا حينئذ أحوالهم وعرفوا مصاير أمورهم ، فعلموا أنهم محتاجون إلى العبارات عن المعاني ، وأنها لا بد لها من الاسماء والافعال والحروف ، فلا عليهم بأيها بدأوا ، أبالاسم أم بالفعل ، أم بالحرف ، لأنهم قد أوجبوا على أنفسهم أن يأتوا بهن جمع ، إذ المعاني لا تستغني عن واحد منهن • هذا مذهب أبي علي ، وبه كان يأخذ ويفتي. وهذا يضيّق الطريق على أبي إسحاق [1] وأبي بكر [2] في اختلافهما في رتبة الحاضر والمستقبل [3] .

وكان أبو الحسن يذهب إلى أن ما غيّر لكثرة استعماله [4] إنما تصورته العرب قبل وضعه ، وعلمت أنه لا بد من كثرة استعمالها إياه فابتدأوا

(١) أبو اسحاق ابراهيم بن السري الزجاج . أستاذ الزجاجي الذي نسب إليه . أخذ عن ثعلب ثم المبرد . مات سنة ٣١١ . ترجمته في إنباه الرواة ١ : ١٥٩ وطبقات الزبيدي ١٢١ والبغية : ١٧٩ .

(٢) أبو بكر محمد بن السري السراج . تلميذ المبرد وشيخ البصرة بعده . أخذ عنه الفارسي والسيرافي والرماني والزجاجي . مات سنة ٣١٦ . ترجمته في الانباه ٣ : ١٤٥ والزبيدي : ١٢٢ ومعجم الأدباء ١٨ : ١٩٧ .

(٣) قال السيرافي « إن في ذلك قولين : أحدهما أن المستقبل أول الأفعال ثم الحال ثم الماضي . وهذا شيء كان يذهب إليه الزجاج وغيره . والحجة فيه أن الأفعال المستقبلة تقع بها العدات ثم توجد بعد تقدم الميعاد وانتظار الموعود فيكون حالاً ثم يأتي عليه غير زمان وجوده فيكون ماضياً .

والقول الثاني : أن الحال هو أول الأفعال ويكون الأقرب إليه في الترتيب المستقبل وتاليه الماضي ... » شرح الكتاب ج ١ ورقة ٢ .

وانظر تفصيل رأي الزجاج بلسان تلميذه الزجاجي في الإيضاح : ٨٥ .

(٤) ما غير لكثرة الاستعمال هنا يعني به المبنيات إذ غيرت عن الإعراب إلى البناء.

بتغييره ، علماً بأن لابد من كثرته الداعية إلى تغييره . وهـــذا في المعنى كقوله :

رأى الأمر يُفضي إلى آخر فصيّر آخِـــرَه أولا

وقد كان أيضاً أجاز أن يكون قد كانت قديماً معربة ، فلما كثرت غيرت فيما بعد . والقول عندي هو الأول ، لأنه أدلّ على حكمتها ، وأشهد لها بعلمها بمصاير أمرها ، فتركوا بعض الكلام مبنياً غير معرب ، نحو : أمس ، وهؤلاء ، وأين ، وكيف ، وكم ، وإذ ، واحتملوا ما لا يؤمن معه من اللبس ، لأنهم إذا خافوا ذلك زادوا كلمة أو كلمتين ، فكان ذلك أخف عليهم من تجشمهم الإعراب واتقائهم الزيغ والزلل فيه ، ألا ترى أن من لا يعرب فيقول : « ضرب أخوك لأبوك » قد يصل باللام إلى معرفة الفاعل من المفعول ، ولا يتجشم خلاف الإعراب ليفاد منه المعنى فإن تخلل الإعراب من ضرب إلى ضرب يجري مجرى مناقلة الفرس ، ولا يقوى على ذلك من الخيل إلا الناهض الرجيل [1] ، دون الكَودن [2] الثقيل ، قال جرير :

من كل مشترِف وإن بعُدَ المَدى ضرمِ الرِّقاق مناقل الأجرال [3]

(١) فرس رجيل : موطوء ركوب لايعرق .

(٢) الكودن : الفرس الهجين .

(٣) شرح ديوان جرير للصاوي : ٤٦٨ . المشترف : المشرف العالي ، وهو هنا يصف فرساً . والرقاق : الأرض اللينة التراب . والأجرال : ج جرل بفتحتين ، الحجارة والمكان الصلب الغليظ .

ويشهد للمعنى الأول [1] أنهم قالوا : أُقتل ، فضموا الأول توقعاً للضمة تأتي من بعد . وكذلك قالوا : عظاءة ، وصلاءة ، وعباءة ، فهمزوا مع الهاء توقعاً لما سيصيرون إليه من طرح الهاء ، ووجوب الهمز عند العظاء والصلاء والعباء. وعلى ذلك قالوا: الشيء مِنْتِن ، فكسروا أوله لآخره ، وهو مُنحدُر من الجبل ، فضموا الدال لضمة الراء . وعليه قالوا: هو يَجُوءك ويَنبُؤك [2] ، فأثّر المتوقَّع، لأنه كأنه حاضر. وعلى ذلك قالوا: امرأة شمباء [3] ، وقالوا: العمبر ، ونساء شمب ، فأبدلوا النون ميماً لما يُتوقَّع من مجيء الباء بعدها . وعليه أيضاً أبدلوا الأول للآخر في الإدغام ، نحو مرّ أيت ، واذ هفّي ذلك ، واصحمَّطرا [4] فهذا كله وما يجرى مجراه مما يطول ذكره يشهد لأن كل ما يتوقع إذا ثبت في النفس كونه ، كان كأنه حاضر مشاهد . فعلى ذلك يكونون قدموا بناء نحو : كم ، وكيف ، وحيث ، وقبل ، وبعد ، على بأنهم سيستكثرون فيما بعد منها ، فيجب لذلك تغييرها .

فإن قلت : هلاّ ذهبت إلى أن الاسماء أسبق رتبة من الأفعال في الزمان ، كما أنها أسبق رتبة منها في الاعتقاد ، واستدللت على ذلك بأن

(١) يعني به المذهب الأول في رأي أبي الحسن ، وقد ذكره قبل أسطر .

(٢) قال سيبويه: تميم تكسر الفاء في فعيل فتقول: لئيم وسعيد ورغيف وبخيل... وكذلك في فَعِل فيقولون : رجل ضِحِك ولِهم (يلتهم) ... «وأما الذين قالوا مِغيرة ومِعين فليس على هذا ، ولكنهم أتبعوا الكسرة الكسرة كما قالوا : مِنْتِن وأنْبُؤك وأجُوءك يريد أجيئك وانبئك ...» الكتاب ٢ : ٢٥٥ - ٢٥٦

(٣) الشمب : رقة وبرد وعذوبة في الأسنان .

(٤) أي : من رأيت ؟ واذهب في ذلك . واصحب مطرا .

الحكمة قادت إليه ، إذ كان الواجب أن يبدأوا بالاسماء ، لأنها عبارات عن الأشياء ، ثم يأتوا بعدها بالأفعال التي بها تدخل الاسماء في المعاني والأحوال ، ثم جاءوا فيما بعد بالحروف ، لأنك تراها لواحق بالجمل بعد تركيبها ، واستقلالها بأنفسها ، نحو : إن زيداً أخوك ، وليت عمراً عندك ، وبحسبك أن تكون كذا [1] ؟ قيل: يمنع من هذا أشياء : منها وجودك اسماء مشتقة من الأفعال، نحو قائم من قام، ومنطلق من انطلق؛ ألا تراه يصح لصحته ، ويعتل لاعتلاله ، نحو : ضرب فهو ضارب ، وقام فهو قائم ، وناوم فهو مناوم ، فإذا رأيت بعض الاسماء مشتقاً من الفعل، فكيف يجوز أن يعتقد سبق الاسم للفعل في الزمان ، وقد رأيت الاسم مشتقاً منه، ورتبة المشتق منه أن يكون أسبق من المشتق نفسه. وأيضاً فإن المصدر مشتق من الجوهر [2] ، كالنبات من النبت ، وكالاستحجار من الحجر ، وكلاهما اسم . وأيضاً فإن المضارع يعتل لاعتلال الماضي ، وإن كان أكثر الناس على أن المضارع أسبق من الماضي. وأيضا فإن كثيراً من الأفعال مشتق من الحروف ، نحو قولهم : سألتك حاجة فلو ليت لي ، أي قلت لي : لولا ، وسألتك حاجة فلا ليت لي ، أي قلت لي : لا . واشتقوا أيضا المصدر — وهو اسم — من الحرف ، فقالوا : اللالاة واللولاة ، وإن كان الحرف متأخراً في الرتبة عن الأصلين قبله : الاسم والفعل . وكذلك قالوا : سوَّفت الرجل ، أي قلت له :

(١) هذا رأي البصريين . وابن جني هنا يخالفه كما ترى ويردّ عليه .
(٢) فكرة جديدة عن الاشتقاق من « الجوهر » .

سوف ، وهذا فعل ـ كما ترى ـ مأخوذ من الحرف . ومن أبيات الكتاب [1] :

لو ساوفتْنا بسوفٍ من تحيّتها ... سوفَ العَيوفِ لراح الركبُ قد قنعُ

انتصب (سوف العيوف) على المصدر المحذوف الزيادة ، أي مساوفة العيوف .

وأنا أرى أن جميع تصرف (ن ع م) إنما هو من قولنا في الجواب: نَعَم . من ذلك النِعْمة [2] ، والنعيم ، والتنعيم ، ونعِمتُ به بالاً ، وتنعّم القوم ، والنُعمى والنَعماء ، وأنعمت به له ، وكذلك البقية ، وذلك أن (نَعَم) أشرف الجوابين وأسرّهما للنفس، وأجلبها للحمد و (لا) بضدّها، ألا ترى إلى قوله :

وإذا قلتَ : نعم ، فاصبر لها ... بنجاح الوعد، إن الخُلْفَ ذَمّ [3]

وقال الآخر ـ أنشدناه أبو علي:

أبى جودُه لا البخلَ واستعجلت به ... نَعَم من فتىً لا يمنع الجوعَ قاتلَه [4]

---

(١) الكتاب ٢ : ٣٠١ . والبيت شاهد على إنشادهم للقوافي بطريقة معينة إذ الأصل فيه : قد قنعوا . وساوفتنا : ماطلتنا . والعَيوف : الكاره والكارهة . وفي اللسان أن البيت لابن مقبل ، وهو في ديوانه : ١٧٢ .

(٢) النِعمة : كل ما أنعم به عليك، وكذلك النعمى. والنَعْمة : التنعيم: ومنه نعّمه الله . وامرأة مُنَعَّمة .

(٣) البيت للمثقب العبدي . واسمه العائذ بن مِحصَن . شاعر جاهلي (نحو ٣٥ ق . هـ) اتصل بعمرو بن هند ومدح النعمان بن المنذر . والبيت في اللسان (مادة:نعم).

(٤) المعنى أن الممدوح جواد يمنح المحتاجين مايقتل جوعَهم. وهذا تفسير ابن بري في اللسان (الألف اللينة) وانظره أيضاً في مادة(نعم)وهو من شواهد المغني . وانظر شرح الشواهد للسيوطي : ٢١٧ والمغني ١ : ٢٧٥ .

يروى بنصب (البخل) وجرّه فمن نصبه فعلى ضربين : أحدهما أن يكون بدلاً من (لا) ، لأن (لا) موضوعة للبخل ، فكأنه قال : أبى جوده البخلَ ، والآخر أن تكون (لا) زائدة ، حتى كأنه قال أبى جودُه البخلَ ، لا على البدل لكن على زيادة (لا) . والوجه هو الأول ، لأنه قد ذكر بعدها نعم ، ونعم لا تزاد ، فكذلك ينبغي أن تكون (لا) هاهنا غير زائدة . والوجه الآخر على الزيادة صحيح أيضاً ، لجري ذكر (لا) في مقابلة نعم . وإذا جاز لـ (لا) أن تعمل وهي زائدة فيما أنشده أبو الحسن من قوله :

لو لم تكن غطفان لا ذنوب لها ... إليَّ لامت ذوو أحسابها عمرا [1]

كان الاكتفاء بلفظها من غير عمل له أولى بالجواز .

ومن جرّه فقال (لا البخلِ) فبإضافة (لا) إليه ، لأن (لا) كما تكون للبخل قد تكون للجود أيضاً ، ألا ترى أنه لو قال لك إنسان : لا تُطعم الناس ، ولا تَقْرِ الضيف ، ولا تتحمل المكارم ، فقلت أنت : (لا) لكانت هذه اللفظة هنا للجود لا للبخل ، فلما كانت (لا) قد تصلح للأمرين جميعاً أُضيفت إلى البخل ، لما في ذلك من التخصيص الفاصل بين المعنيين الضدَّين .

---

(١) البيت للفرزدق في هجاء عمر بن هبيرة . والمعنى أنه لو كانت غطفان غير مسيئة إليّ لعاتب أشرافها عمر بن هبيرة ومنعوه من التعرض لي . وفزارة من غطفان . والبيت في الخزانة ٢ : ٨٧ وفيها : إذاً للام . وكذلك رواه العيني في شواهد لا النافية للجنس في هامش الخزانة ٢ : ٣٢٢ .

فإن قلت: فكيف تضيفها وهي مبنية؟ ألا تراها على حرفين الثاني حرف لين، وهذا أدل شيء على البناء، قيل: الإضافة لا تنافي البناء، بل لو جعلها جاعل سبباً له لكان أعذر من أن يجعلها نافية له، ألا ترى أن المضاف بعض الاسم، وبعض الاسم صوت، والصوت واجب بناؤه. فهذا من طريق القياس، وأما من طريق السماع فلأنهم قد قالوا: كمْ رجلٍ قد رأيت، فكم مبنية وهي مضافة. وقالوا أيضاً: لأضربنَّ أيُّهم أفضل، وهي مبنية عند سيبويه. فهذا شيء عرض قلنا فيه.

ثم لنعد إلى ما كنا عليه من أن جميع باب (ن ع م) إنما هو ماخوذ من (نَعَمْ) لما فيه من المحبَّة للشيء والسرور به، فنعّمت الرجل، أي قلت له (نعم) فنعم بذلك بالاً، كما قالوا: بجّلته أي قلت له: بجل، أي حسبك حيث انتهيت، فلا غاية من بعدك، ثم اشتقوا منه الشيخ البَجَال، والرجل البَجِيل[1]. فنَعَمْ، وبَجَلْ، كما ترى حرفان، وقد اشتق منهما أحرف كثيرة.

فإن قلت: فهلاَّ كان نَعَمْ وبَجَلْ مشتقين من النعمة والنعيم، والبَجال والبجيل ونحو ذلك، دون أن يكون كل ذلك مشتقاً منهما؟ قيل: الحروف يشتق منها ولا تشتق هي أبداً. وذلك أنها لما جمدت فلم تتصرف شابهت بذلك أصول الكلام الأول التي لا تكون مشتقة من شيء لأنه ليس قبلها ما تكون فرعاً له ومشتقة منه. يؤكد ذلك عندك قولهم:

(١) بجال كسحاب وبجيل كأمير: المبجّل، أو العظيم النبيل، أو الكبير السن.

سألتك حاجة فلو ليت لي ، أي قلت لي: لولا، فاشتقوا الفعل من الحرف المركب من (لو) و (لا) . فلا يخلو هذا أن يكون (لو) هو الأصل أو (لا) ، ولا يجوز أن يكون (لولا) ؛ لأنه لو كان (لولا) هو الأصل كان (لو) محذوفاً منه ، والأفعال لا تحذف ، إنما تحذف الاسماء نحو : يد ، ودم ، وأخ ، وأب، وما جرى مجراه ، وليس الفعل كذلك . فأما خذ ، وكل ، ومر ، فلا يعتدّ ، إن شئت لقلته ، وإن شئت لأنه حذف تخفيفاً في موضع، وهو ثابت في تصريف الفعل ، نحو: أخـــذ يأخذ ، وأخـذ وآخذ .

فإن قلت : فكذلك أيضاً : يد ، ودم ، وأخ ، وأب ، وغد ، وفم، ونحو ذلك ، ألا ترى أن الجميع تجده متصرفاً وفيه ما حذف منه ،وذلك نحو أيد وأياد ويديّ ، ودماء ودميّ وأدماء والدما في قوله : « فإذا هي بعظام ودَما [1] » وإخْـوَة وأخُـوَّة ، وآخاء وأخوان ، وآباء ، وأبوّة وأبوان « وغدواً بلاقع »[2] وأفواه وفُـوَيه ، وَأفْـوَه وفوْهاء وفُـوْهٍ. قيل : هذا كله إن كان قد عاد في كل تصرف منه ما حذف من الكلمة التي هي من أصله ، فدل ذلك على محذوفه ، فليست الحال فيه كحال خذ

---

(١) كأطوم فقدت بَرْغزهـــا أعقبتها الغَبْس منه عدمـــا
غفلت ثم أتت ترقبـــه فإذا هي بعظام ودمـــا
الأطوم : البقرة الوحشية . والبرغز : ولدها . والغبس : الذئاب . وانظر اللسان (برغز ، أطم) .

(٢) قال لبيد : وما الناس إلا كالديار وأهلها بها يوم حلوها وغدواً بلا قع

من أخذ ويأخذ . وذلك أن أمثلة [1] الفعل وإن اختلفت في أزمنتها وصيغها فإنها تجري مجرى المثل الواحد ، حتى إنه إذا حذف من بعضها شيء عوّض منه في مثال آخر من أمثلته ، ألا ترى أنهم لمّا حذفوا همزة يكرم ونحوه عوّضوه منها أن أوجدوها في مصدره ، فقالوا : إكراماً . وكذلك بقية الباب . وليس كذلك الجمع والواحد ، ولا التكبير والتصغير من الواحد ؛ لأنه ليس كل واحد من هذه المثل جارياً مجرى صاحبه ، فيكون إذا حذف من بعضها شيء ثم وجد ذلك المحذوف في صاحبه كان كأنه فيه ، وأمثلة الفعل إذا حذف من أحدها شيء ثم وجد ذلك المحذوف في صاحبه ، صار كأنه في المحذوف منه نفسه ، فكأن لم يحذف منه شيء .

وإن قلت : فقد نجد بعض ما حذف في الاسماء موجوداً في الأفعال من معناها ولفظها . وذلك نحو قولهم في الخبر : أخَوت عشرة ، وأبوت عشرة ، وأنشدنا أبو علي عن الرياشي :

وبِشْرَة يابونا كأنَّ خِباءنا جَناحُ سُمانى في السماء تطير [2]

وقالوا أيضاً : يديت إليه يداً ، وأيديت [3] ، ودميت تَدْمى دمى ، وغدوت عليه ، وفُهت بالشيء وتفوّهت به . فقد استعملت الأفعال من هذه الكلم ، كما استعملت فيما أوردته .

---

(١) يعني أبنيته . ولفظ (المثال) بمعنى البناء كثيراً مايستعمل في (الكتاب) وغيره .

(٢) هو في اللسان (مادة : بشر) . وفيه : بِشْر وبِشْرة إنسان .

(٣) أي أسديت صنيعة . واليد مجازاً المعروف .

قيل : وهذا أيضاً ساقط عنا ، وذلك أنا إنما قلنا : إن هذه المثُل من الأفعال تجري مجرى المثال الواحـــد ، لقيام بعضها قيام بعض ، واشتراكها في اللفظ . وليس كذلك أب وأخ ونحوهما ، ألا ترى أن (أَب) ليس بمثال من أمثلة الفعل ، ولا باسم فاعل ، ولا مصدر ، ولا مفعول فيكون رجوع المحذوف منه في أبوت كأنه موجود في أب ، وإنما أب من أَبوت كمُدُقّ ومُكْحُلة من دققت وكحلت [1] . وكذلك القول في أَخ ، ويد ، ودم ، وبقية تلك الاسماء ، فهذا فرق.

فقد علمت ـ بما قدّمناه وهضبنا [2] فيه ـ قوّة تداخل الأصول الثلاثة : الاسم والفعل والحرف وتمازجها ، وتقدم بعضها على بعض تارة ، وتأخرها عنه أُخرى. فلهذا ذهب أبو علي ـ رحمه الله ـ إلى أن هذه اللغة وقعت طبقة واحدة ، كالرقم تضعه على المرقوم ، والميسم يباشر بـه صفحة الموسوم ، ولا يحكم لشيء منه بتقدمٍ في الزمان ، وإن اختلفت بما فيه

---

(١) قال سيبويه : « ... وأما المسجد فإنـــه اسم للبيت ، ولست تريد به موضع السجود وموضع جبهتك ، لو أردت ذلك لقلت : مسجَد . ونظير ذلك المُكْحُلة والمِحْلَب والمِبْسَم لم ترد موضع الفعل ولكنه اسم لوعاء الكحل ، وكذلك المُدُق صار اسماً له كالجُلُوس وكذلك المقبُرة والمشرُقة وإنما أراد اسم المكان ولو أراد موضع الفعل لقال مقبَر ولكنه اسم بمـــنزلة المسجِد ..... ويجيء الفعل اسماً كما جاء في المسجِد والمنكب وذلك المِطبَخ والمِرْبَد . وكل هذه الأبنية تقع اسماً التي ذكرنا من الفصول لا لمصدر ولا لموضع العمل . » الكتاب ٢ : ٢٤٨ .

(٢) هضب في الحديث وأهضب : أفاض وأكثر .

من الصنعة القوة والضعف في الأحوال . وقد كثر اشتقاق الأفعال من الأصوات الجارية مجرى الحروف ، نحو : هاهيت ، وحاحيت ، وعاعيت وجأجأت ، وحاحأت ، وسأسأت ، وشاشأت[1] . وهذا كثير في الزجر وقد كانت حضرتني وقتاً فيه نشطة فكتبت تفسير كثير من هذه الحروف في كتاب ثابت في الزجر ، فاطلبها في جملة مـــا أثبتّه عن نفسي في هذا وغيره[2] .

---

(١) كلمات لزجر الحيوان .

(٢) وخلاصة الرأي : أن اللغة وقعت على دفعات ، وأن كل دفعة أو طبقة منها كانت مشتملة على الأجناس الثلاثة : الاسماء والأفعال والحروف . وأنه لا يحكم لشيء من هذه الأجناس بتقدّم زمني ، وإن اختلفت فيما بينها من حيث القوة والضعف والسّبق الى الاعتقاد .

النص الثاني [1]

باب في تلاقي المعاني ، على اختلاف الأصول والمباني [2]

هذا فصل من العربية حسن كثير المنفعة ، قويّ الدلالة على شرف هذه اللغة . وذلك أن تجد للمعنى الواحد اسماء كثيرة ، فتبحث عن أصل كل اسم منها ، فتجده مُفْضيَ المعنى إلى معنى صاحبه .

وذلك كقولهم : (خُلُق الانسان) فهو (فُعُل) من خلَقت

---

(١) من كتاب الخصائص ٢ : ١١٣ .

(٢) فكرة هذا النص أن أصول المترادفات متلاقية المعاني . فالخليقة والطبيعة والنحيتة والغريزة والنقيبة والضريبة ... وسائر المترادفات التي تدل على ذلك والمشتقة من النجر والنحت والحت والضرب والدق والنحز والطبع والخلق والغرز والسلق ... إنما هي بمعنى التمرين على الشيء وتليين القوي ليُصحب وينجذب .

وكذلك : الصوار والمسك .

والصبيّ والصبية والطفل والطفلة والجارية والغلام .

والجمل والناقة .. والدبيج والوشاء والخيل والغنم .

والفضة والذهب والتبر .

والحبي والسحاب .

والحاجة والحوجاء والأرب والمأربة واللبانة والتلاوة والأشكلة والشهلاء ... وخال مال وصدى مال وسرسور مال وسؤبان مال ومحجن مال وبلو مال وحبل مال وزرمال ... كل مجموعة من هذه المترادفات إنما تعود أصولها إلى معنى واحد أو معان متقاربة . وهذا هو كما يقول ابن جني فقه اللغة وجامع معانيها .

وهو باب يُجمع بين بعضه وبعض من طريق المعاني مجرّدة من الألفاظ . فليس هو بالاشتقاق الذي هو من لفظ واحد بل هو أعلى منه مأخذاً وأشرف صنعة .

الشيء ، أي ملّسته، ومنه صخرة خلقاء للملساء . ومعناه أن خلق الإنسان هو ماقدّر له ورتّب عليه ، فكأنه أمر قد استقر ، وزال عنه الشك ، ومنه قولهم في الخبر : «قد فرغ الله من الخَلْق والخُلُق» . والخليقة فعيلة منه .

وقد كثرت فعيلة في هذا الموضع . وهو قولهم : (الطبيعة) وهي من طبعت الشيء أي قررته على أمر ثبت عليه ، كما يُطبع الشيء كالدرهم والدينار ،فتلزمه أشكاله ، فلا يمكنه انصرافه عنها ولا انتقاله .

ومنها (النحيتة) ،وهي فعيلة من نحتّ الشيء أي ملّسته وقرّرته على ما أردته منه . فالنحيتة كالخليقة : هذا من نحتّ ، وهذا من خلّقت .

ومنها (الغريزة) ،وهي فعيلة من غرزت كما قيل لها طبيعة ، لأن طبع الدرهم ونحوه ضرب من وسمه ، وتغريزه بالآلة التي تثبّت عليه الصورة . وذلك استكراه له وغمز عليه كالطبع .

ومنها (النقيبة) وهي فعيلة من نقبت الشيء ، وهو نحو من الغريزة .

ومنها (الضريبة) وذلك أن الطَبْع لابدَّ معه من الضرب ، لتثبت له الصورة المرادة .

ومنها (النحيزة) هي فعيلة من نحزت الشيء أي دققته ، ومنه المِنْحَاز :الهاوون، لأنه موضوع للدفع به والاعتماد على المدقوق،قال :

يُنْحَزن من جانبَيْها وهي تَنْسلِب [1]

أي تُضرب الإبل حول هذه الناقة للحاق بها ، وهي تسبقهن وتنسلب أمامهن .

ومنها (السجيّة) هي فعيلة من سجا يسجو إذا سكن ، ومنه طرفٌ ساجٍ ، وليل ساج ، قال :

ياحبذا القمراءُ والليل الساج وطُرُق مثل مُلاء النسّاج [2]

وقال الراعي [3] :

ألا اسلمي اليوم ذاتَ الطوق والغاج

والدّلِ والنظرِ المستأنس الساجي

وذلك أن خُلُق الانسان أمر قد سكن إليه واستقر عليه، ألا تراهم

---

(١) البيت لذي الرمة ، وصدره : والعيس من عاسج أو واسج خبباً .

والعيس : الإبل البيض يخالط بياضها شقرة . والعاسج : المسرع ، وكذلك الواسج . والانسلاب : المضاء في السير . والبيت من القصيدة التي مطلعها :

مابال عينك منها الماء ينسكب كأنه من كلى مفرية سرب

وانظر الديوان : ٨ واللسان (مادة: نحز) .

(٢) البيت في الكامل ١ : ٢٤٤ (طبعة شاكر) وفي اللسان (مادة:سجا) .

والمُلاء : ج مُلاءة . شبه خيوط الطرق في ضوء القمر بخيوط الملاءة ...

(٣) شاعر مشهور ، اسمه عبيد بن حصين،عاصر جريراً والفرزدق ، وفضل الفرزدق فهجاه جرير . مات سنة ٩٠ هـ وفي الشعر والشعراء : ١٥٦ أن اسمه حصين ابن معاوية .

يقولون في مدح الرجل : فلان يرجع إلى مروءة ، ويُخلد إلى كرم ، ويأوى إلى سداد وثقة . فيأوي إليه هو هذا ، لأن المأوى خلاف المُعْتَمَل ، لأنه إنما يأوي إلى المنزل ونحوه إذا أراد السكون .

ومنها (الطريقة) من طرّقت الشيء أي وطأته وذللته ، وهذا هو معنى ضربته ، ونقبته ، وغرزته ، ونحته ، لأن هذه كلها رياضات وتدريب ، وأعتادات وتهذيب .

ومنها (السجيحة) وهي فعيلة من سَجِح خُلُقه ، وذلك أن الطبيعة قد قرّت واطمأنت فسجحت وتذللت [1] . وليس على الانسان من طبعه كلفة ، وإنما الكلفة فيما يتعاطاه ويتجشمه ، قال حسان :

ذروا التَخاجُؤَ وامشوا مِشْيَة سُجُحاً
إن الرجال ذَوُو عَضْبٍ وتذكير [2]

وقال الأصمعي : إذا استوت أخلاق القوم قيل : هم على سُرجُوجة واحدة [3] ومَرِنٍ واحد . ومنهم من يقول : سِرْجيجة وهي فِعْليلة من هذا . فسُرجوجة : فُعْلولة ، من لفظ السرج ومعناه . والتقاؤهما أن السرج إنما أُريد للراكب ليعدله ، ويزيل اعتلاله وميله . فهو من تقويم الأمر . وكذلك إذا استبوا على وتيرة واحدة فقد تشابهت أحوالهم

(١) الإسجاح : حسن العفو . إذا ملكت فأسجح . ومِشية سُجُح : سهلة .
(٢) التخاجؤ في المشي : التباطؤ . ويريد بها هنا التبختر والخيلاء . وفي الصحاح : دعوا التخاجؤ (مادة : خجأ) . وانظر الديوان : ١٢٣ .
(٣) وكذلك هي في الصحاح (مادة : سرج)

وزاح خلافهم ، وهذا أيضاً ضرب من التقرير والتقدير ، فهو بالمعنى عائد إلى النحيتة ، والخليقة ، لأن هـــذه كلها صفات تؤذن بالمشابهة والمقاربة . والمَرِن مصدر كالحَلِف والكِذب . والفعل منه مَرَن على الشيء إذا ألفه ، فلان له . وهو عندي من مارِن الأنف لما لان منه فهو أيضاً عائد إلى أصل الباب ، ألا ترى أن الخليقة ، والنحيتة ، والطبيعة ، والسجية ، وجميع هذه المعاني التي تقدمت ، تؤذن بالإلف والملاينة ، والإصحاب والمتابعة .

ومنها (السليقة) وهي من قولهم: فلان يقرأ بالسليقة أي بالطبيعة. وتلخيص ذلك أنها كالنحيتة . وذلك أن السليق ما تحاتّ من صغار الشجر ، قال :

تَسمعُ منها في السَليقِ الأشهَبِ
معمعةً مثلَ الأباء المُلْهَبِ [1]

وذلك أنه إذا تحاتّ لان وزالت شدته . والحَتُّ كالنحت ، وهما في غاية القرب . ومنه قول الله سبحانه « سلقوكم بألسنةٍ حداد » [2] ، أي نالوا منكم . وهذا هو نفس المعنى في الشيء المنحوت المحتوت . ألا تراهم يقولون : فلان كريم النِجار والنَجر ، أي الأصل . والنجر ،

(١) الشهبة : البياض الذي غلب على السواد . والأباء: ج أباءة كعباءة وهي القصبة. وانظر الرأي فيا فاؤه وعينه همزتان في سر الصناعة : ٧٨ و ٧٩ واللهب : لسان النار . ولَهِب الرجل : عطش فهو لَهْبان وهي لَهْبى . وألهب الفرسُ : اضطرم جريه .

(٢) سورة الأحزاب ٣٣ : ١٩ .

والنحت ، والحت ، والضرب ، والدق ، والنحز ، والطبع ، والخلق والغرز ، والسلق ، كله التمرين على الشيء ، وتليين القويّ ليُصحب وينجذب .

فاعجب للطف صنع الباري سبحانه في أن طبع الناس على هذا ، وأمكنهم من ترتيبه وتنزيله ، وهداهم للتواضع عليه وتقريره [1] .

ومن ذلك قولهم للقطعة من المِسْك : (الصُّوَار) قال الأعشى :

إذا تقومُ يَضوعُ المسكُ أصْورةً
والعنبر الورد من أردانها شمل [2]

فقيل له : (صُوار) لأنه (فُعال) من صاره يصوره إذا عطفه وثناه ، قال الله سبحانه « فخذ أربعة من الطير فَصُرْهنَّ إليك [3] » . وإنما قيل له ذلك لأنه يجذب حاسة من يشمه إليه ، وليس من خبائث الأرواح فيعرض عنه ، وينحرف إلى شق غيره [4] ، ألا ترى إلى قوله :

---

(١) ليس في البابين اللذين عقدهما ابن جني لمناقشة أصل اللغة أإلهام هي أم تواضع واصطلاح أوضح من هذه العبارة التي حاول فيها أن يوفق بين الرأيين ؛ فاللغة تواضع وتقرير من البشر هداهم الله إليه وطبعهم عليه .

(٢) البيت من قصيدة الأعشى المشهورة :

ودّع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعاً أيها الرجل

ورواية الديوان : وازنبق الورد ... والأردان : الأكمام ، والورد : ما كان بلون الورد أي أحمر .

(٣) سورة البقرة ٢ : ٢٦ .

وفي اللسان : الصَّور : المَيل . وصُرْت إلي الشيء وأصرته : أملته . وفي حديث عمر عن العلماء : « تنعطف عليهم بالعلم قلوب لاتَصْورُها الأرحام » أي لاتُميلها .

والآية « فصُرهن إليك » أي وجِّهْهُن .

(٤) في اللسان : الصوار : القليل من المسك ، وقيل القطعة منه . والجمع أصورة . فارسيّ . ولسنا ندري هل ركب ابن جني متن الشطط لإثبات رأيه ولو أدى به ذلك إلى جعل الفارسي عربياً !

ولو أن ركباً يَمُوك لقادهم نسيمُك حتى يستدل بك الركب[1]

وكذا نجد أيضاً معنى (المسك) . وذلك أنه (فِعْل) من أمسكت الشيء ، كأنه لطيب رائحته يمسك الحاسة عليه، ولا يعدل بها صاحبها عنه[2] . ومنه عندي قولهم للجلد : (المَسْك) هو (فَعْل) من هذا الموضع ، ألا ترى أنه يُمسك ما تحته من جسم الانسان وغيره من الحيوان[3] . ولولا الجلد لم يتماسك ما في الجسم: من اللحم ، والشحم والدم وبقية الأمشاج وغيرها .

فقولهم إذاً : مِسْك يلاقي معناه معنى الصِّوار ، وإن كانا من أصلين مختلفين ، وبناءين متباينين : أحدهما (م س ك) والآخر (ص و ر) كما أن الخليقة من (خ ل ق) والسجية من (س ج و) والطبيعة من (ط ب ع) والنحيتة من (ن ح ت) والغريزة من (غ ر ز) والسليقة من (س ل ق) والضريبة من (ض ر ب) والسجيحة من (س ج ح) والسرجوجة والسرجيجة من (س ر ج) والنجار من

---

(١) في حاشية الخصائص للمحقق أن المناسب أن تكون الرواية : يستدل به الركب. وهو رأي حسن .

(٢) يعلل ابن جني هنا تسمية المسك عند العرب ، والمسك كما ذكر الجواليقي فارسيّ معرّب ، وهو عند العرب : المشموم (المزهر ٦ : ١١٦) .

وفي اللسان (مادة : مسك) : قال الجوهري : المسك من الطيب فارسي معرب . وكانت العرب تسمية المشموم .

(٣) في كتاب حضارة مصر القديمة أن جلد الحيوان باللغة المصرية القديمة : مسكا . وهو بالأكادية : مشكو . والآرامية : ماشكا .

(ن ج ر) والمرن من (م ر ن) . فالأصول مختلفة ، والأمثلة متعادية ، والمعاني مع ذينك متلاقية .

ومن ذلك قولهم . صبي وصبية ، وطفل وطفلة ، وغلام وجارية ، وكله لليّـن والانجذاب ، وترك الشدة والاعتياص ؛ وذلك أن صبياً من صبوت إلى الشيء ، إذا ملت إليه ولم تستعصم دونه . وكذلك الطفل ، هو من لفظ طفّـلت الشمس للغروب إي مالت إليه وانجذبت نحوه ، ألا ترى إلى قول العجّـاج :

والشمس قد كادت تكون دَنَـفا [1]

يصف ضعفها وإكبابها . وقد جاء به بعض المولّـدين فقال :

وقد وضعت خدّاً إلى الأرض أضرعا [2]

ومنه قيل : فلان طفيلي ، وذلك أنه يميل إلى الطعام [3] . وعلى هذا قالوا له : غلام ، لأنه من الغلمة ، وهي اللين وضَـعْـفة العِـصْـمة . وكذلك قالوا : جارية . فهي فاعلة من جرَى الماءُ وغيره ، ألا ترى أنهم يقولون : إنها غضّـة بضة رَطْـبة ، ولذلك قالوا : قد علاها مـاء الشباب ، قال عمر :

---

(١) يصف العجاج الشمس وقد مالت للغروب ، ويقول بعـــده :

. . . . . أدفعها بالراح كي تزحلفا

وانظر اللسان (مادة :دنف) .

(٢) لابن الرومي في وصف غروب الشمس :

ولاحظت النوار وهي مريضة وقد وضعت خداً إلى الأرض أضرعا .

(٣) هذا رأي ابن جني وبعض اللغويين ... وقيل إنه نسبة إلى رجل اسمه طُـفَيل ابن زلاّل من أهل الكوفة كان يأتي الولائم من غير دعوة .

وهي مكنونة تحيرّ منهـــا في أديم الخدين ماء الشباب [1]

وذلك أن الطفل والصبي والغلام والجارية ليست لهم عصمة الشيوخ ولا جُسْأَة [2] الكهول . وسألت بعض بني عُقَيل . عن قول الحمصي [3] .

لم تُبلِ جدَّةَ سمرهم سُمْرٌ ولم تسِم السَّموم لأُدمهنَّ أديما

فقال : هن بمائهنَّ كما خلقنه . فإذا اشتد الغلام شيئاً قيل له حَزوّر وهو (فَعوّل) من اللبن الحازر إذا اشتد للحموضة. قال العِجْلي [4] :

وارضَوْا بإحلابة وَطْبٍ قد حزر [5]

وقال :

نزعَ الحزوّر بالرشاءِ المُحصَدِ [6]

---

(١) لعمر بن أبي ربيعة . تحير الماء : اجتمع . واستحار شباب المرأة وتحير امتلأ وبلغ الغاية . وانظر اللسان (حير) .

(٢) الجسأة : الصلابة .

(٣) يعني عبد السلام بن رغبان المعروف بديك الجن . وهو شاعر حمصي لقي أبا تمام ومات سنة ٢٣٥ . ترجمته في وفيات الأعيان ٢ : ٣٥٦ .

(٤) الأغلب بن عمرو العِجْلي من بكر بن وائل . جاهلي أدرك الاسلام وأسلم وحسن اسلامه واستشهد في معركة نهاوند . قال الآمدي في المؤتلف والمختلف : هو أرجز الرجاز وأرصنهم كلاماً وأصحهم معاني... ترجمته في الخزانة ١ : ٣٣٣ .

(٥) هو في اللسان (مادة : حزر) .

(٦) للنابغة من قصيدته المشهورة في المتجردة :

من آل مية رائح أو مغتد عجلان ذا زاد وغير مزوّد

وكأنهم زادوا الواو وشدّدوها لتشديد معنى القوة[1] ، كما قالوا للسيّء الخُلُق : عذورٌ ، فضاعفوا الواو الزائدة لذلك ، قال :

إذا نزل الأضياف كان عذورًا
على الحيّ حتى تستقلّ مراجلُه[2]

ومنه رجل كروّس ، للصُلْب الرأس ، وسَفَر عطودٌ ، للشديد ، قال :

إذا جشِمن قَذَفًا عَطوّدا رَمَين بالطرْف مداه الأبعَدا[3]

ومثل الأول : قولهم : غلام رِطل ، وجارية رِطلة للينها . وهو من قولهم ، رطّل شعره ، إذا أطاله فاسترخى . ومنه عندي الرّطل الذي يوزن به . وذلك أن الغرض في الأوزان أن تميل أبداً الى أن يعادلها الموزون بها . ولهذا قيل لها : مثاقيل، فهي مفاعيل من الثقل ، والشيء إذا ثقل استرسل وارجحنّ ، فكان ضد الطائش الخفيف .

فهذا ونحوه من خصائص هذه اللغة الشريفة اللطيفة . وإنما يسمع الناس هذه الألفاظ فتكون الفائدة عندهم منها إنما هي علم معنياتها . فأما

(١) لم يذكر ابن جني أن الحزوّر أيضاً الضعيف غير البالغ . ففي اللسان : قال أبو حاتم في الأضداد: الحَزوّر الغلام إذا اشتد وقوي ، والحزوّر الضعيف من الرجال، وأنشد :

إن أحق الناس بالمنيّه حزوّر ليست له ذريّه

(٢) من أبيات مختلطة لزينب بنت الطثرية في رثاء أخيها يزيد وللعُجير السلولي . ونرجح أنها لزينب . وانظر الأمالي ٢ : ٨٣ والمعنى أنه كريم يُتعب أهله بأضيافه ، فهو مع أهله سيء الخلق حتى يرحل ضيوفه .

(٣) في وصف الإبل . وفي اللسان : فلاة قَذَف وقُذُف أي بعيدة تقاذف بمن يسلكها .

كيف ؟ ومن أين ؟ فهو ما نحن عليه . وأحجِ به أن يكون عند كثير منهم نيِّفاً لا يحتاج إليه ، وفضلاً غيره أولى منه .

ومن ذلك أيضاً قالوا :ناقة، كما قالوا : جَمَل .وقالوا :ما بها دِبّيج كما قالوا : تناسل عليه الوَشَاء . والتقاء معانيها أن الناقة كانت عندهم مما يتحسنون به ويتباهَوْن بملكه،فهي (فَعَلة) من قولهم : تنوَّقت في الشيء إذ أحكمته وتخيَّرته ، قال ذو الرمة :

. . . . . تنوّقت

به حضرميّات الأكف الحوائك[1]

وعلى هذا قالوا : (جمل) لأن هذا (فَعل) من الجَمال ، كما أن تلك (فَعَلة) من تنوقت ــ وأجود اللغتين تأنقت ــ قال الله سبحانه : « ولكم فيها جمال حين تُريحون وحين تَسْرحون[2] » . وقولهم : ما بها دبّيج ، هو فِعّيل ، من لفظ الديباج ومعناه . وذلك أن الناس بهم العمارة وحسن الآثار ، وعلى أيديهم يتم الأُنس وطيب الديار . ولذلك قيل لهم : ناس ، لأنه في الأصل أناس،فحذفت الهمزة لكثرة الاستعمال. فهو (فُعَال) من الأنس[3] ، قال :

---

(١) في وصف النوق ، وصدره : كأنّ عليها سِحْقَ لِفْق تنوقت ...
السحق : البالي . واللفق : أحد شقي الملاءة . وانظر ديوان ذي الرمة: ٤١٦ .
(٢) الآية : « والأنعام خلقها لكم فيها دِفء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تُريحون وحين تسرحون »النحل ١٦ : ٥ - ٦.
(٣) انظر الانصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري . المسألة : ١١٧ .

أناس لا يملون المنايا
إذا دارت رحى الحرب الزُّبُونِ[1]

وقال :

أناسٌ عِدًا عُلِّقتُ فيهم وليتني
طلبتُ الهوى في رأس ذي زلَقٍ أشَمّ[2]

وكما اشتقوا دبّيجاً من الديباج، كذلك اشتقوا الوَشَاء من الوَشْي ، فهو (فَعَال) منه . وذلك أن المال يشِي الأرضَ ويُحسّنها . وعلى ذلك قالوا : الغَنَم لأنه من الغنيمة ، كما قالوا لها : الخيل ، لأنها فَعْل من الاختيال. وكل ذلك مُستحبّ .

أفلا ترى إلى تتالي هذه المعاني وتلاحظها ، وتقابلها وتناظرها ، وهي: التنوّق ، والجمال ، والأنس ، والديباج ، والوشي ، والغنيمة ، والاختيال . ولذلك قالوا : البقر ، من بقرت بطنه أي شققته ، فهو إلى السعة والفُسحة ، وضدُّ الضيق والضَغْطة .

فإن قلت : فإنّ الشاة من قولهم : رجل أشوه ، وامرأة شوهاء ، للقبيحين . وهذا ضد الأول ، ففيه جوابان : أحدهما أن تكون الشاة جرت مجرى القلب لدفع العين عنها لحسنها ، كما يقال في استحسان الشيء : قاتله الله ، كقوله :

---

(١) لأبي الغول الطهوي . والزُّبُن : الدَّفع. والحرب زبون لأنها تصدم الناس وتدفعهم .

(٢) هواه لدى قوم متباعدين غرباء وليته كان في رأس جبل وعر كثير المزالق ، إذاً لكان أيسر وأهون ..

رمى الله في عيني بثنية بالقذى

وفي الشُّنب من أنيابها بالفوادح [1]

وهو كثير . والآخر : أن يكون . من باب السلب ، كأنه سلب القبح منها ، كما قيل للحَرَم : نالة [2] . ولخشبة الصِّرار : تَوْدية [3] ، ولجوّ السماء : السُّكاك [4] . ومنه تَحوّب وتأثّم ، أي ترك الحُوب والإثم .

وهو باب واسع ، وقد كتبنا منه في هذا الكتاب ما ستراه بإذن الله تعالى. وأهل اللغة يسمعون هذا فيرونه ساذجاً غفلاً ، ولا يحسنون لما نحن فيه من حديثه فرعاً ولا أصلا .

---

(١) البيت لجميل بثينة . والشُّنَب : رقة وعذوبة وبَرد في الفم وفي الأسنان . قال ذو الرمة :

لمياءُ في شفتيها حوة لَعَس وفي اللِّثات وفي أنيابها شَنَب

القوادح : ج قادح وهو سواد يظهر في الأسنان . ورواية الديوان : وفي الغر من أنيابها ... (الديوان بتحقيق الدكتور حسين نصار وشرحه . ص : ٣٥) .

(٢) النّوال : مصدر نِلْت أنال ، مثل : المَنال والمَنالة . والنّالة : ماحول الحَرَم، وهي عند ابن سيده من النوْل وعند ابن جني من النيْل . وانظر اللسان (مادة: نول).

(٣) الصرار : خيط تُشَدّ به التوادي على أطراف الناقة وتُذبل الأطباء بالبَعر الرّطْب لئلا يؤثر الصرار فيها . وصرَرْت الناقة : شددت عليها الصرار . وفي الحديث: لايحلّ لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحلّ صرار ناقة بغير إذن صاحبها فإنه خاتم أهلها . كناية عن حلبها . وانظر تفصيل عادتهم في ذلك في اللسان (صرر) . والتودية : خشبة تشدّ على أطباء الناقة لئلا يسيل حليبها ، والودي : السيلان ، ودى : سال . فالتودية تسمية على السلب لأنها تحول بين الفصيل واللبن .

(٤) السكاك : الضيق ، واستكت مسامعه ضاقت .

ومن ذلك قولهم : الفِضّة ، سُميت بذلك لانفضاض أجزائها ، وتفرقها في تراب معدنها ؛ كذا أصلها وإن كانت فيما بعد قد تصفّى وتهذّب وتسبك. وقيل لها: فضة ، كما قيل لها : لُجَيْن . وذلك لأنها ما دامت في تراب معدنها فهي ملتزقة في التراب متلجّنة[1] به ، قال الشمّاخ :

وماءٍ قد وردتُ أميمَ طامٍ
عليه الطيرُ كالورقِ اللَّجِيْنِ[2]

أي المتلزّق المتلجن ، وينبغي أن يكونوا إنما ألزموا هذا الاسم التحقير لاستصغار معناه ما دام في تراب معدنه . ويشهد عندك بهذا المعنى قولهم في مراسله :الذهب . وذلك لأنه ما دام كذلك غير مصفى فهو كالذاهب ، لأن ما فيه من التراب كالمستهلك له ، أو لأنه لما قلّ في الدنيا فلم يوجد إلا عزيزاً صار كأنه مفقود ذاهب ، ألا ترى أن الشيء إذا قلّ قارب الانتفاء . وعلى ذلك قال العرب : قلّ رجل يقول ذلك إلا زيد ، بالرفع ، لأنهم أجروه مُجرى : ما يقول ذاك أحدٌ إلاّ زيد . وعلى نحو من هذا قالوا : قلما يقوم زيد ، فكفوا (قلّ) بـ (ما)

---

(١) أي متلزجة .

(٢) الشماخ معقل بن ضرار ، شاعر صحابي ، والبيت من أبيات قالها في مدح عرابة ابن أوس كما في الخزانة ٢ : ٢٢٢ ، والرواية فيها : وماء قد وردت لوصل أروى .

ومنها: إذا بلغتني وحملت رحلي عرابة فاشرقي بدم الوتين
رأيت عرابة الأوسي يسمو إلى الخيرات منقطع القرين
إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

والقصيدة في الديوان : ٩٠ (طبع في مصر سنة ١٣٢٧ هـ بشرح الشنقيطي) .

عن اقتضائها الفاعل ، وجاز عندهم إخلاء الفعل من الفاعل لما دخله من مشابهة حرف النفي ، كما بقّوا المبتدأ بلا خبر في نحو هذا من قولهم : أقلّ امرأتين تقولان ذلك ، لما ضارع المبتدأ حرف النفي . أفلا ترى الى أنسهم باستعمال القلة مقارنة للانتفاء . فكذلك لما قلّ هذا الجوهر في الدنيا أخذوا له اسماً من الذهاب الذي هو الهلاك .

ولأجل هذا أيضاً سموه (تبْراً) لأنه (فِعْل) من التَّبَار . ولا يقال له (تبر) حتى يكون في تراب معدنه أو مكسوراً .

ولهذا قالوا للجام من الفضة (الغَرَب) ، وهو (فَعَل) من الشيء الغريب ، وذلك أنه ليس في العادة والعرف استعمال الآنية من الفضة ، فلما استعمل ذلك في بعض الأحوال كان عزيزاً غريباً . هذا قول أبي إسحق [1] . وإن شئت جذبته الى ما كنا عليه فقلت : إن هذا الجوهر غريب من بين الجواهر لنفاسته وشرفه ، ألا تراهم إذا أثنوا على إنسان قالوا : هو وحيد في وقته ، وغريب في زمانه ، ومنقطع النظير ، ونسيج وحده . ومنه قول الطائي الكبير :

غرّبته العلا على كثرة النا س فأضحى في الأقربين جنيبا [2]

فليطلْ عمرُه فلو مات في مر وَ مقيماً بها لمات غريبا

(١) الزجاج ، وقد تقدمت ترجمته في ص ١٧ ، وكان مغرماً بمثل هذه التعليلات .

(٢) الجنيب : الغريب . والبيتان في مديح أبي سعيد محمد بن يوسف الثغري وانظر الديوان ١ : ١٦٢ .

وقول شاعرنا[1] :

أبدو فيسجد من بالسوء يذكرني
ولا أعاتبـــه صفحاً وإهوانا

وهكذا كنت في أهلي وفي وطني
إن النفيس عزيز حيثما كانا

ويدلك على أنهم قد تصوَّروا هذا الموضع من امتزاجـه[2] بتراب معدنه أنهم إذا صفَّوْه وهذبوه أخذوا له اسماً من ذلك المعنى ، فقالوا له : الخِلاص ، والإبريز ، والعِقْيان . فالخِلاص فِعال من تخلص ، والإبريز إفْعيل من برز يبرز ، والعِقيان فِعلان من عَقَى الصبي يَعْقي ، وهو أول ما يُنجيه عند سقوطه من بطن أمه قبل أن يأكل ، وهو العِقْي . فقيل له ذلك لبروزه ، كما قيل له البَرَاز .

فالتأتيّ والتلطف في جمع هذه الأشياء وضمّها ، وملاءمة ذات بينها هو خاص اللغة وسرّها ، وطلاوتها الرائقة وجوهرها . فأما حفظها ساذجة ، وقمشها[3] محطوبة هرجة[4] فنعوذ بالله منه ، ونرغب بما آتاناه سبحانه عنه .

---

(١) يعني المتنبي ، وانظر ماسبق عن صلة ابن جني بالمتنبي في ص٧ . والبيتان في شرح العكبري : ٤٦٩ .

(٢) أي امتزاج التبر .

(٣) التقميش : الجمع على غير هدى وبدون انتقاء .

(٤) قال محقق الخصائص : « هرج البعير : سدر من شدة الحر وكثرة الطلاء بالقطران فكأنه يريد أن تكون ضعيفة . وفي اللغة الهِرْج : الضعيف ».
ونرى أنها من الهَرْج وهو الاختلاط إذ هو أنسب للقمش .

وقال أبو علي رحمه الله : قيل له حَبِيّ ، كما قيل له سحاب . تفسيره أن حبياً (فَعِيل) من حبا يحبو . وكان السحاب لثقله يحبو حبواً ، كما قيل له سحاب، وهو (فَعَال) من سَحَب ، لأنه يسحب أهدابه . وقد جاء بكليهما شعر العرب : قالت امرأة :

وأقبل يزحف زحفَ الكسير
سياقٌ الرعاءِ البطاءِ العِشَارا[1]

وقال أوس :

دانٍ مسفٌ فويقَ الأرض هيدُبه
يكاد يدفعُه مَن قام بالراح[2]

وقالت صبية منهم لأبيها فتجاوزت ذلك :

أناخَ بذي نَفرٍ بَرْكَه كأنّ على عَضُديه كِتافا[3]

---

(١) الرواية في اللسان : زحف الكبير . (مادة : حبا) . ونجد فيه نص الخصائص حتى قوله : ... على عضدية كتافا . العِشار من الإبل التي أتى عليها عشرة أشهر، وبه فسر قوله تعالى : وإذا العِشار عطلت . والمفرد: ناقة عُشَراء. يقال: عشرت الناقة تعشيراً وأعشرت. وانظر اللسان : (مادة: عشر) .

(٢) البيت من قصيدة منسوبة إلى أوس بن حجر وإلى عبيد بن الأبرص، وهي في ديوانيهما .. وانظر ديوان عبيد : ٣٣ بتحقيق الدكتور حسين نصار وشرحه، ففيه حديث عن جو القصيدة. وهو في اللسان (مادة : حبا) منسوب إلى أوس . والبيت مجرور لأن قبله :

يامن لبرق أبيت الليل أرقبه في عارضٍ كمضيءِ الصبح لماحِ

(٣) بَرْك الجمل : صدره . وذو بقر اسم موضع وبه وردت رواية اللسان (مادة: حبا) (ومادة : كتف) . والكتاف : مايُشد به . وكتفه : شد يديه من خلفه بالكِتاف .

وقال أبوهم [1] :

وألقى بصحراء الغَبيطِ بَعَاعَه
نزولَ اليماني ذي العيابِ المُحمَّلِ [2]

قال: ومن ذلك قولهم في أسماء الحاجة: الحاجة، والحَوْجاء، واللوجاء، والإرْب، والإرْبة، والمَأرُبة، واللُبانة، والتُلاوة ـ بقية الحاجة ـ والتَليَّة أيضاً، والأشْكَلة، والشَّهْلاء، قال الشاعر :

لم أقض حين ارتحلوا شَهلائي
من الكعاب الطَّفْلةِ الغيداء [3]

وأنت تجد مع ذلك من اختلاف أصولها ومبانيها جميعها [4] راجعاً إلى موضع واحد، ومخطوماً [5] بمعنى لا يختلف، وهو الإقامة على الشيء والتشبث به. وذلك أن صاحب الحاجة كلف بها، ملازم للفكر فيها، مقيم على تنجزها واستحثاثها، قال رسول الله ﷺ: «حبك الشيءَ

(١) يعني سيد الشعراء المبرز امرأ القيس وهو خبر وصافي السحاب.
(٢) من معلقة امرىء القيس. صحراء الغبيط: موضع. البعاع: السحاب المثقل بالماء. العياب: ج عَيْبة: وهي وعاء من أدم يكون فيه المتاع. ويريد باليماني المحمل: الجمل، ومن روى المحمّل أراد التاجر اليماني، ينزل ويقيم حتى يبيع بضاعته. وفي الديوان: المحوّل أي الكثير المتاع والحول. وانظر الديوان: ٢٥ (طبعة دار المعارف بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم).
(٣) البيت في اللسان (مادة: شهل) والرواية فيه: من العروب الكاعب الحسناء.
(٤) أي: تجد جميعها راجعاً.
(٥) خطمت البعير: جعلت فيه الخطام وهو حبل يربط به ليقاد. والخطم من الطائر منقاره، ومن الدابة مقدّم الأنف والفم.

يعمي ويُصم »[1] وقال المولّد :

صاحبُ الحاجة أعمى لا يرى إلاّ قضاها

وتفسير ذلك أن الحاج شجر له شوك ، وما كانت هذه سبيله فهو متشبث بالأشياء ، فأي شيء مرّ عليه اعتاقه وتشبث به . فسميت الحاجة تشبيهاً بالشجرة ذات الشوك. أي أنا مقيم عليها ، متمسك بقضائها كهذه الشجرة في اجتذابها ما مرّ بها ، وقرب منها . والحوجاء منها ، وعنها تصرف الفعل: احتاج يحتاج احتياجاً ، وأحْوَج يُحْوِج ، وحاج يَحُوج ، فهو حائج .

واللَّوْجاء من قولهم : لُجتُ الشيءَ ألُوْجه لَوْجا ، إذا أدرته في فيك . والتقاؤهما أن الحاجة مترددة على الفكر ، ذاهبة جائية إلى أن تقضى ، كما أن الشيء إذا تردد في الفم فإنه لا يزال كذلك إلى أن يُسيغه الانسان أو يلفظه .

والإرْب ، والإرْبة ، والمارُبة ، كله من الأُرْبة وهي العُقْدة ، وعقد مُؤَرَّب ، إذا شدد ، وأنشد أبو العباس[2] لكُناز بن نُفَيع[3] يقوله لجرير :

غضبتَ علينا أن عَلاك ابنُ غالب

فهلاً على جدّيْك إذ ذاك تغضب

(١) في الجامع الصغير (حرف الحاء) . وفي شرح الجامع أن إسناده ضعيف .
(٢) يعني ثعلباً على نحو مافي اللسان (مادة : أرب) .
(٣) من شعراء تميم .

هما حين يسعى المرء مسعاةَ جده
أناخا فشدّاك ، العِقالُ المؤرّب [1]

والحاجة معقودة بنفس الإنسان ، مترددة على فكره .

واللُبانة من قولهم : تلبنّ بالمكان ، إذا أقام به ولزمه . وهذا هو المعنى عينه . والتُلاوة والتليّة من تلوتَ الشيء إذا قفوتَه واتّبعته لتدركه . ومنه قوله :

الله بيني وبين قيمّها يفرّ مني بها وأتبع [2]

والأشْكلة كذلك ، كأنها من الشِكال [3] ، أي طالب الحاجة مقيم عليها ، كأنها شَكال له ، ومانعة من تصرّفه وانصرافه عنها . ومنه الأشكل من الألوان : الذي خالطت حمرتُه بياضه ، فكأن كل واحد من اللونين اعتاق صاحبه أن يصحّ ويصفوَ لونه .

والشهلاء كذلك ، لأنها من المشاهلة وهي مراجعة القول ، قال :

قد كان فيما بيننا مشاهلة ثم تولّت وهي تمشي البأدلة [4]

---

(١) ابن غالب : الفرزدق . يريد : أن الفرزدق سعى كجديه على حين قعدبك جداك ، وذاك هو العقال المورّب حقاً .

ورفع العقال على أنه خبر لمبتدأ محذوف . ويرى المبرد أنها بدل اشتمال من ضمير شدّاك . وانظر الحاشية ٦ من الخصائص ٢ : ١٢٨ .

(٢) البيت للأحوص . والضمير في قيمها يعود على لبنى المذكورة سابقاً . وانظر الشعر والشعراء : ٢٠٤ والأغاني ٤ : ٢٤٧ .

(٣) حبل تربط به يد الدابة ورجلها لئلا تغادر مكانها .

(٤) لأبي الأسود العجلي كما في اللسان (مادة : شهل ، وبأزل) وفي اللسان أن الصواب "بأزلة" .

البأدلة : أن تحرك في مشيتها بآدلها، وهي لحم صدرها . وهي مشية القصار من النساء .

فقد ترى إلى ترامي هذه الأصول والميل بمعانيها إلى موضع واحد .

ومن ذلك ما جاء عنهم في الرجل الحافظ للمال ، الحَسن الرِّعية له والقيام عليه . يقال: هو خال مال ، وخائل مال ، وصدَى مال ، وسُرْسُور مال ، وسُؤْبان مال ، ومِحْجَن مال ، وإزاء مال ، وبلْوُ مال ، وحبْل مال، وعِسْل مال ، وزِرّ مال . وجميع ذلك راجع إلى الحفظ لها [1] ، والمعرفة بها [1] .

فخال مال [2] يحتمل أمرين : أحدهما أن يكون صفة على (فَعل) كبطل وحَسَن ، أو (فعِل) ككبش صافٍ ورجل مالٍ . ويجوز أن يكون محذوفاً من فاعل ، كقوله [3] :

لاثٍ به الأَشاءُ والعُبْرِي [4]

---

(١) قال محقق الخصائص: « الضمير في لها وبها راجع إلى المال وقد ذكر الجوهري عن بعض اللغويين أن المال يؤنث فهذا يحمله » ونرى أن ابن جني سبق له أن استعمل المال قبل سطرين مذكراً فقال : الحسن الرعية له والقيام عليه : فلعله سها ، أو اعتبر المال ثروة .

(٢) الخائل: الحافظ للشيء ، الرجل يخول على عياله . وخال المال يخوله إذا ساسه وأحسن القيام عليه .

والخوْلي : القائم بأمر الناس . والخول : الرعاة ، والخولي : الراعي الحسن القيام على المال والغنم .

(٣) هو للعجاج من أرجوزة طويلة مشهورة له .

(٤) في وصف أبيك . لاثٍ أصله لاثث من لاث يلوث ووزنه فالع . والأشاء : صغار النخل . والعُبْري مايلبث من شجر الضال على الشطوط . أي أنه أبيك كثير النبات والماء .

فأما خائل مال ففاعل لا محالة . وكلاهما من قوله : كان رسول الله ﷺ يتخوّلنا بالموعظة ، أي يتعهدنا بها شيئاً فشيئاً ويراعينا [1] . قال أبو علي : هو من قولهم تساقطوا أخول أخول ، أي شيئاً بعد شيء . وأنشدنا :

يساقط عنه رَوقه ضارياتِهـــا
سقاطَ حديد القين أخول أخولا [2]

فكأن هذا الرجل يرعى ماله ، ويتعهده ، حفظاً له وشحّاً عليه .

وأما صدى مال فإنه يعارضها من هاهنا وهاهنا ، ولا يهملها ، ولا يضيع أمرها . ومنه الصدى لما يعارض الصوت . ومنه قراءة الحسن رضي الله عنه « صادِ والقرآن » وكان يفسره : عارض القرآن بعملك أي قابل كلّ واحد منهما بصاحبه ، قال العجلي :

يأتي لها من أيْنٍ وأشْمُلِ [3]

وكذلك سُرْسور مال ، أي عارف بأسرار المال ، فلا يخفى عنه شيء من أمره . ولست أقول كما يقول الكوفيون — وأبو بكر [4] معهم —

---

(١) في اللسان : التخول : التعهد ، وروى الحديث نفسه .

(٢) البيت منسوب في اللسان (مادة : سقط) إلى ضابيء بن الحارث البرجمي وكذلك في (مادة : خول) . وهو في وصف الثور ومدافعته للكلاب . والرّوق : القرن .

(٣) من أرجوزة لأبي النجم العجلي ، والبيت في وصف الراعي .

(٤) هو محمد بن السرّي السراج وقد ذكرت ترجمته في ص ١٧ .

إن سُرسوراً من لفظ السر ، لكنه قريب من لفظه ومعناه ، بمنزلة عين ثرة وثرثارة . وقد تقدم ذكر ذلك [1] .

وكذلك سُوبان مـالٍ ، هو (فُعْلان) من السَّأْب ، وهو الزقّ للشراب ، قال الشاعر :

إذا ذقت فاها قلتَ عِلقٌ مدمَّسٌ ... أريد به قَيلَ فغودر في سابِ [2]

والتقاؤهما أن الزقّ إنما وضع لحفظ ما فيه ، فكذلك هـذا الراعي يحفظ المال ويحتاط عليه احتياط الزق على ما فيه .

وكذلك مِحْجَـن مالٍ ، هو (مِفْـعَل) من احتجنت الشيء إذا حفظته وادّخرته .

وكذلك إزَاءُ مالٍ ، هـــو (فِعَـال) من أَزَى الشيء يأزي إذا تقبَّض واجتمع ، قال :

ظلَّ لها يوم من الشِعرَى أزِي [3]

---

(١) انظر باب « تداخل الأصول الثلاثية والرباعية والخماسية » في الخصائص ٢ : ٤٤ وفيه أن أبا بكر (قال في نحو ثرة وثرثارة : إن الأصل فيها ثرّارة فأبدل من الراء الثانية ثاء فقالوا : ثرثارة . وكذلك طرد هذا الطرد . وهذا وان كان عندنا غلطاً لإبدال الحرف مما ليس من مخرجه ولامقارباً في المخرج له فإنه شق آخر من القول.) » ٢ : ٥٥ .

(٢) العِلق : الخمر لنفاستها . وفي المحيط : النفيس من كل شيء والعتيق من الخمر . والمدمس : المحبوء . وانظر اللسان (مادة : سأب) .

(٣) يوم أزِ : يغم الأنفاس من شدة حره . والشِعرى : كوكب يطلع في شدّة الحر . وقائل الرجز من باهلة وتتمته : نعوذ منه بزرانيق الركي .

والزرانيق : ج زُرنوق وهو دعامة البئر ، ويجعل على كل زرنوقين خشبة تعلق فيها البكرة .

والركي : ج ركية وهي البئر . وانظر اللسان (مادة : أزى) ومجالس ثعلب ٢ : ٦١٤ .

أي يغمّ الأنفاس ويضيّقها لشدة الحر. وكذلك هذا الراعي يشُحّ عليها ويمنع من تسرّبها. وأنشد أبو علي عن أبي بكر لعمارة:

هذا الزمان مُوَلٍّ خيرُه آزي ... صارت رؤوسٌ به أذنابَ أعجاز

وكذلك بِلْومالٍ، أي هو بمعرفته به قد بلاه واختبره، قال الله سبحانه «ولنبلونّكم حتى نعلمَ المجاهدين منكم والصابرينَ ونبلوَ أخباركم»[1] قال عمر بن لجأ:[2]

فصادفتْ أعْصلَ من أبلائها ... يُعجبه النزْع على ظِمائها[3]

وكذلك حِبْل مالٍ، كأنه يضبطها، كما يضبطها الحبل يشد به، ومنه الحِبْل: الداهية من الرجال، لأنه يضبط الأمور ويحيط بها.

وكذلك عِسْل مال، لأنه يأتيها ويعسِل[4] إليها من كل مكان، ومنه الذئب العَسُول، ألا ترى أنه إنما سمي ذئباً لتذاؤبه[5] وخبثه، ومجيئه تارة من هنا، ومرة من هنا.

---

(١) سورة محمد ٤٧ : ٣١.

(٢) ويقال: عمر بن لحأ بالحاء المهملة، وهو بالمعجمة أشهر. قال فيه جرير:

أنت ابن برزة منسوب إلى لحأٍ ... عند العصارة والعيدان تعتصر

وبرزة أمه. ولحاء الشجر لاعصارة له. وانظر الخزانة ١: ٣٦٠ وتاج العروس ١: ١١٥.

(٣) الأعصل: اليابس البدن، وهو قوة له. والنزع هنا نزع الدلو من البئر.

(٤) عسل الذئب عسلًا وعسلانا: أعنق وأسرع، والعسل في السير: الخبب.

(٥) ذؤب الرجل وذئب: خبث. ومما يروى عن سيبويه أنه كان ذات يوم في حلقته، فهبت ريح أطارت الورق، فقال لبعض جلسائه: انظر أي ريح هي؟ - وكان على منارة المسجد تمثال فرس من صفر - فخرج الرجل فنظر التمثال ثم عاد فقال: مايثبت الفرس على شيء. فقال سيبويه: العرب تقول في مثل هذا: تذاء بت الريح. أي فعلت فعل الذئب ليختل. فيتوهم الناظر أنه عدة ذئاب. (طبقات الزبيدي: ٦٨).

وكذلك زِرّ مال ، أي يجمعه ويضبطه ، كما يضبط الزرّ الشيء المزرور .

فهذه الأصول وهذه الصيغ على اختلاف الجميع مرتمية إلى موضع واحد على ما ترى .

ومن ذلك قولهم للدم : الجَديَّة[1] ، والبصيرة . فالدم من الدُمْية لفظاً ومعنى . وذلك أن الدمية إنما هي للعين والبصر ، وإذا شوهدت فكان ما هي صورته مشاهَد بها وغير غائب مع حضورها ، فهي تصف حال ما بَعُد عنك . وهذا هو الغرض في هذه الصور المرسومة للمشاهدة . وتلك عندهم حال الدم ، ألا ترى أن الرَميَّة إذا غابت عن الرامي استدل عليها بدمها فاتبعه حتى يؤديه إليها . ويؤكد ذلك لك قولهم فيه : (البَصيرة) وذلك أنها إذا أُبصرت أدَّت إلى المرميّ الجريح . ولذلك أيضاً قالوا له (الجَدَّية) لأنه يُجدي على الطالب للرميَّة ما يبغيه منها . ولو لم ير الدم لم يستدلل عليها ، ولا عرف موضعها ، قال ﷺ « كلْ ما أصميت ودع ما أنميت »[2] .

وهذا مذهب في هذه اللغة طريف ، غريب لطيف . وهو فقهها ، وجامع معانيها ، وضامُّ نشَرَها[3] . وقد هممت غير دفعة أن أنشيء

(١) في اللسان (مادة :جدا) : الجدية من الدم مالصق بالجسد ، والبصيرة ما كان على الأرض . وقال اللحياني : الجدية الدم السائل وأما البصيرة فلم يسل . وأجدى الجرح سالت منه جدية ...

(٢) أصميت : ما أصبته فمات بين يديك . وأنميت : ما أصبته وغاب عنك ثم مات.

(٣) النَشر : المنتشر المتفرق .

في ذلك كتاباً أتقصَّى فيه أكثرها ، والوقت يضيق دونه . ولعله لو خرج لما أقنعه ألف ورقة إلاّ على اختصار وإيماء . وكان أبو علي رحمه الله يستحسن هذا الموضع جداً، وينبه عليه ، ويُسرُّ بما يُحضره خاطره منه . وهذا باب إنما يُجمع بين بعضه وبعض من طريق المعاني مجردةً من الألفاظ ، وليس كالاشتقاق الذي هو من لفظ واحد، فكأن بعضه مَنْبهة على بعض . وهذا إنما يعتنق فيه الفكرُ المعاني غير منبهته عليها الألفاظُ فهو أشرف الصنعتين ، وأعلى المأخذين . فتفطَّن له ، وتأنَّ لجمعه ، فإنه يؤنقك ويُفيء عليك ، ويبسط ما تجعّد من خاطرك ، ويُريك من حِكم الباري ـ عز اسمه ـ ما تقف تحته ، وتسلّم لعظم الصنعة فيه، وما أودعَتْه أحضانُه ونواحيه .

النص الثالث [1]

باب في الاشتقاق الأكبر

هذا موضع لم يسمّه أحد من أصحابنا ، غير أن أبا علي – رحمه الله – كان يستعين به ، ويُخلد إليه ، مع إعواز الاشتقاق الأصغر . لكنه مع هذا لم يسمِّه ، وإنما كان يعتاده عند الضرورة ، ويستروح إليه ويتعلّل به . وإنما هذا التلقيب لنا نحن [2] . وستراه فتعلم أنه لقب مستحسن . وذلك أن الاشتقاق عندي على ضربين : كبير وصغير .

فالصغير ما في أيدي الناس وكتبهم ، كأن تأخذ أصلاً من الأصول فتتقرّاه فتجمع بين معانيه ، وإن اختلفت صيغه ومبانيه . وذلك كتركيب (س ل م) فإنك تأخذ منه معنى السلامة في تصرفه ، نحو : سلم، ويسلم، وسالم، وسلمان، وسلمى، والسلامة، والسليم: اللديغ ، أطلق

(١) من كتاب الخصائص ٢ : ١٣٣ .

(٢) « الاشتقاق الأكبر » كما ترى تسمية اقترحها ابن جني لهذا النوع من الاشتقاق واعلم أن اللغويين لم يتابعوه على هذه التسمية بل أطلقوا على هذا النوع من الاشتقاق اسم « الاشتقاق الكبير » وأما الاشتقاق الأكبر عندهم فهو ما كان فيه اشتراك في بعض الحروف الثلاثة ، وكان بين الحروف المتغايرة تشابه أو تقارب في المخرج ، مع وجود تقارب في المعنى مثل أزّ وهزّ . ونهق ونعق . وهو ما يبحثه ابن جني في باب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني (النص التالي) . وانظر فقه اللغة وخصائص العربية للأستاذ محمد المبارك ص : ١١١ .

عليه تفاؤلاً بالسلامة . وعلى ذلك بقية الباب إذا تأوّلته ، وبقية الأصول غيره ، كتركيب (ض ر ب) و (ج ل س) و (ز ب ل) على ما في أيدي الناس من ذلك . فهذا هو الاشتقاق الأصغر . وقد قدّم أبو بكر[1] ـ رحمه الله ـ رسالته فيه بما أغنى عن إعادته ، لأن أبا بكر لم يألُ فيه نصحاً ، وإحكاماً ، وصنعة وتأنيساً .

وأما الاشتقاق الأكبر فهو أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثية ، فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً ، تجتمع التراكيبُ الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه ، وإن تباعد شيء من ذلك عنه ردّ بلطف الصنعة والتأويل إليه ، كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد . وقد كنا قدمنا ذكر طرف من هذا الضرب من الاشتقاق في أول هـــذا الكتاب عند ذكرنا أصل الكلام والقول وما يجيء من تقليب تراكيبها ، نحـو (ك ل م) (ك م ل) (م ك ل) (م ل ك) (ل ك م) (ل م ك) ، وكذلك (ق و ل) (ق ل و) (و ق ل) (و ل ق) (ل ق و) (ل و ق) ، وهذا أعوص مذهباً ، وأحزن مضطرَباً . وذلك أنا عقدنا تقاليب الكلام الستة[2] على القوّة والشدة ،

---

(١) يعترف ابن جني بفضل أبي بكر بن السرّاج في كتابه عن الاشتقاق . وقد ذكروا أنه لم يتم . انظر ترجمة ابن السراج في ص ١٧ وانظر البُغية : ٤٤ .

(٢) كان ينبغي أن يقول « الخمسة » لأنه سبق له أن قال بإهمال « لمك » كما سترى في الحاشية التالية .

وتقاليب القول الستة على الإسراع والخفة • وقد مضى ذلك في صدر الكتاب [1] .

لكن بقي علينا أن نحضر هنا مما يتصل به أحرفاً ، تُؤنِّس [2] بالأول ، وتشجع منه المتأمل •

فمن ذلك تقليب (ج ب ر) فهي – أين وقعت – للقوَّة والشدَّة • منها (جبرت) العظم ، والفقير : إذا قوَّيتها وشددت منها ، و (الجَبر) الملك لقوته [3] ، وتقويته لغيره •

ومنها رجل (مجرَّب) : إذا جرّسته [4] الأمور ونجَّذته ، فقويت مُنّته ، واشتدت شكيمته •

ومنه (الجِرَاب) لأنه يحفظ مافيه ، وإذا حُفظ الشيء وروعي اشتد وقوي . وإذا أغفل وأهمل تساقط ورذي • ومنهـــا (الأبجر

(١) الخصائص ١ : ٥ وفيه : إن معنى (ق و ل) أين وجدت وكيف وقعت من تقدم بعض حروفها على بعض وتأخره عنه إنما هو للخفوف والحركة . وجهات تراكيبها الست مستعملة كلها .

وفي ص ١٣ : وأما (ك ل م) فهذه أيضاً حالها ، وذلك أنها حيث تقلبت فعناها الدلالة على القوة والشدة ، والمستعمل منها أصول خمسة . . . وأهملت منه (ل م ك) فلم تأت في ثبت .

(٢) الأنس والاستئناس هو التأنس . وأنِست بفلان : فرحت به . وأنّسته : أحسسته ووجدته ، ومنه : آنس من جانب الطور نارا . ويؤنسه : يجعله ذا أنس .

(٣) في اللسان (مادة : جبر) ابن سيده : الجبر: الملك ، ولا أعرف مم اشتق إلا أن ابن جني قال : سمي بذلك لأنه يجبُر بجوده ، وليس بقوي ! ؟

قال ابن أحمر : اسلم براووق حُبيت به وانعم صباحاً أيها الجبْر

(٤) قوّته وأحكمته .

والبَجْرة)[1] وهو القويّ السُرة. ومنه قول علي صلوات الله عليه: الى الله أشكو عُجَري وبُجَري، تأويله: همومي وأحزاني[2]، وطريقه أن العُجْرة كل عقدة في الجسد، فإذا كانت في البطن والسرّة فهي البُجْرة والبَجَرة، تأويله أن السرة غلظت ونتأت فاشتد مسّها وأمرها. وفُسّر أيضاً قوله: عُجَرى وبُجَري، أي ما أبدي وأخفي من أحوالي[2]. ومنه (البُرْج) لقوته في نفسه وقوة ما يليه به، وكذلك (البَرَج) لنقاء بياض العين وصفاء سوادها، هو قوة أمرها، وأنه ليس بلون مستضعف، ومنها (رجّبت) الرجل: إذا عظّمته وقوّيت أمره. ومنه (رجب)[3] لتعظيمهم إياه عن القتال فيه، وإذا كرُمت النخلة على أهلها فمالت دعموها بالرُجْبة[4]، وهو شيء تسند إليه لتقوى به. و (الراجِبَة): أحد فصوص الأصابع، وهي مقوّية لها. ومنها (الرَبَاجيّ) وهو الرجل يفخر بأكثر من فعله، قال:

وتلقاه رَباجيّاً فخوراً[5]

تأويله أنه يعظّم نفسه، ويقوّي أمره.

ومن ذلك تراكيب (ق س و) (ق و س) (و ق س) (وس ق)

---

(١) البَجر: خروج السُرة ونتوءها. والبُجرة: السرة. هو أبجر وهي بجراء. والبُجْرة: العقدة في الوجه والعنق ومثلها العجْرة.

(٢) وكذلك هي في اللسان (مادة: بجر).

(٣) والجمع أرجاب. ورَجبان: رجب وشعبان.

(٤) والجمع رُجب، وفي اللسان أنها دكان تعتمد عليها الشجرة.

(٥) وكذلك هو في اللسان (مادة: ربج) بدون نسبة. والجمهرة ١: ٢٠٩.

(س و ق) وأهمل (س ق و). وجميع ذلك إلى القوة والاجتماع • منها (القسوة) وهي شدّة القلب واجتماعه ، ألا ترى إلى قوله :

ياليت شعري – والمُنى لا تنفع –
هل أغدوَنْ يوماً وأمري مُجْمَع [1]

أي قويّ مجتمع ومنها (القوس) لشدتها ، واجتماع طرفيها • ومنها (الوَقْس) لابتداء الجرَب ، وذلك لأنه يجمع الجلد ويُقحله ، ومنها (الوَسْق) للحِمل ، وذلك لاجتماعه وشدته ، ومنه استوسق الأمر أي اجتمع « واللَّيلِ وما وَسَق [2] » أي جمع ، ومنها (السَوْق) ، وذلك لأنه استحثاث وجمع للمسوق بعضه إلى بعض، وعليه قال :

مستوسقاتٍ لو يجدن سائقاً [3]

فهذا كقولك : مجتمعات لو يجدن جامعاً •

فإن شذّ شيء من شُعَب هذه الأصول عن عَقْده ظاهراً رُدَّ بالتأويل إليه ، وعطف بالملاطفة عليه . بل إذا كان هذا قد يعرض في الأصل الواحد حتى يُحتاج فيه إلى ما قلناه ، كان فيما انتشرت أصوله بالتقديم والتأخير أولى باحتماله ، وأجدر بالتأول له •

---

(١) في اللسان : الغدْو : أصل الغد ... حذفت لامه ولم يستعمل تاماً إلا في الشعر.
(٢) سورة الانشقاق ٨٤ : ١٧ .
(٣) من رجز للعجاج يقول فيه : إن لنا لإبلاً حقائقا . . . مستوسقات . . . وانظره في اللسان (مادة : وسق) .

ومن ذلك تقليب (س م ل) (س ل م) (م س ل) (م ل س) (ل م س) (ل س م) والمعنى الجامع لهـا المشتمل عليها الإصحاب والمُلاينة . ومنها الثوب (السَمَل) وهو الخَلق . وذلك لأنه ليس عليه من الوَبر والزئبر ما على الجديد . فاليد إذا مرَّت عليه للمَّس لم يستوقفها عنه جِدة المَنسج ، ولا خُشنة الملمس . والسَمَل : الماء القليل ، كأنه شيء قد أخْلق وضعف عن قوة المضطرَب ، وجَمَّة المُرْتكض ، ولذلك قال :

حوضاً كأنّ ماءه إذا عَسَلْ
من آخر الليل رُوَيْزِيّ سَمَلْ (١)

وقال آخر :

ورّاد أسمال المياه السُدْم
في أُخْرَيات الغَبش المِغَمّ (٢)

---

(١) جاء في اللسان (مادة : عسل) : « وعسل الماء عسلاً وعسلانا حركته الريح فاضطرب وارتفعت حبكه : أنشد ثعلب :

قد صبحت والظلّ غض ما زحل حوضاً كأن ماءه إذا عسل
من نافض الريح رويزيّ سمَل

الرويزيّ : الطيلسان . السَّمل : الخلق . وإنما شبه الماء في صفائه بخضرة الطيلسان ، وجعله سملاً لأن الشيء إذا أخلق كان لونه أعتق » .

(٢) من الأبيات المفردات المنسوبة إلى ذي الرمة (الديوان : ٦٧٤) . والمياه السدم : الغائرة ، وهي جمع سدوم (كرسول ورسُل) والغبش : الظلمة ، وقيل : ظلمة آخر الليل . ويوم غامّ وغمّ ومغمّ أي ذو غمّ ، والذي يأخذ بالنفس من شدة الحرّ . وانظر الشاهد في اللسان (مادة : سدم وغم) .

ومنها السلامة. وذلك أن السليم ليس فيه عيب تقف النفس عليه، ولا يعترض عليها به. ومنها المَسْل والمسَل والمسيل كله واحد، وذلك أن الماء لا يجري إلاّ في مَذْهب له وإمام منقاد به، ولو صادف حاجزاً لاعتاقه فلم يجد مُتسرَّباً معه. ومنها الأملس والملساء؛ وذلك أنه لا اعتراض على الناظر فيه والمتصفح له. ومنها اللمس. وذلك أنه إن عارض اليد شيء حائل بينها وبين الملموس لم يصحّ هناك لمس، فإنما هو إهواء باليد نحوه، ووصول منها إليه لا حاجز ولا مانع، ولا بد مع اللمس من إمرار اليد وتحريكها على الملموس، ولو كان هناك حائل لاستوقفت به عنه ... فأما (ل س م) فمهمل. وعلى أنهم قد قالوا: نَسَمت الريحُ إذا مرت مرّاً سهلاً ضعيفاً، والنون أخت اللام[1] وسترى نحو ذلك.

ومرّ بنا أيضاً أَلْسَمْتُ الرجل حجّته إذا لقّنته وألزمته إياها. قال:

لا تُلسِمنّ أبا عمران حُجّته
ولا تكوننْ له عوناً على عمرا[2]

فهذا من ذلك، أي سهلتها وأوضحتها.

واعلم أنا لا ندعي أن هذا مستمر في جميع اللغة، كما لا ندعي للاشتقاق الأصغر أنه في جميع اللغة. بل إذا كان ذلك الذي هو في القسمة سدس

(١) الأخوة بين الحروف تشابه أو تقارب في مخارجها. وسترى تفصيل ذلك في النص القادم.

(٢) البيت في اللسان (مادة: لسم) بدون نسبة. والرواية فيه: لا يُلسِمنّ. وفيه عن ابن الاعرابي: اللّسم: السكوت حياءً لا عقلا.

هذا أو خمسه متعذراً صعباً ، كان تطبيق هذا وإحاطته أصعب مذهباً وأعز ملتمساً . بل لو صح من هذا النحو وهذه الصنعة المادةُ الواحدة تتقلَّب على ضروب التقلب كان غريباً معجبا . فكيف بـه وهو يكاد يساوق الاشتقاق الأصغر ، ويجاريه إلى المَدى الأبعد .

وقد رسمتُ لك منه رسماً فاحتذِه ، وتقيَّله [1] تحظ به ، وتُكثر إعظام هذه اللغة الكريمة من أجله . نعم ، وتسترفده في بعض الحاجة إليه فيعينك ويأخذبيديك ، ألا ترى أن أبا علي رحمه الله ، كان يقوّي كون لان (أثفية) فيمن جعلها (أفعولة) واواً بقولهم : جاء يثفه ، ويقول : هذا من الواو لا محالة كيَعِده . فيرجّح بذلك الواو على الياء التي ساوقتها في يثفوه ويثفيه . أفلا تراه كيف استعان على لام ثفاء بفاء وثف . وإنما ذلك لأنها مادة واحدة شكِّلت على صور مختلفة ، فكأنها لفظة واحدة . وقلت مرة للمتنبيء [2] : أراك تستعمل في شعرك ذا ، وتا وذي كثيراً . ففكر شيئاً ثم قال : إن هذا الشعر لم يُعمل كله في وقت واحد . فقلت له : أجل لكن المادة واحدة . فأمسك البتة ، والشيء يذكر لنظيره ، فإن المعاني وإن اختلت معنيَّاتها ، آوية إلى مضجع غير مقِض [3] وآخذ بعضها برقاب بعض .

(١) في اللسان : تقيل فـلان أباه تقيلًا : نزع إليه في الشبه . والمراد هنا أن تحتذيه وتقلّده .

(٢) انظر ماسبق من صلة ابن جني بالشاعر المتنبي في ص ٧ .

(٣) قض عليه المضجع وأقض : نبا . قال أبو ذؤيب :

أم ما لجسمك لا يلائم مضجعاً إلا أقضّ عليك ذاك المضجع

وأقض المضجع ، برفع المضجع ونصبها ؛ لأن الفعل لازم ومتعد .

النصّ الرابع [1]

باب في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني [2]

هذا غَوْر من العربية لاينتصف [3] منه ولا يكاد يحاط به . وأكثر كلام العرب عليه ، وإن كان غُفْلا مسهوّا عنه . وهو على أضرب :

منها اقتراب الأصلين الثلاثيين ، كضيّاط وضيطار [4] ، ولُوقة وألوقة [5] ، ورخْو ورِخْوَدّ ، وينْجوج [6] وألنْجوج [6] . وقد مضى ذكر ذلك [7] .

ومنها اقتراب الأصلين ، ثلاثياً أحدهما ، ورباعياً صاحبه ، أو رباعياً

---

(١) من كتاب الخصائص ٢ : ١٤٥ .

(٢) الصّقب : القُرب . أصقبت دارهم وصقبت : قربت .

(٣) أي لا يستوفى . ويقال : انتصف منه ، أي : أدرك حقه لديه .

(٤) الضياط : الرجل الغليظ ، وكذلك الضيطر والضيطار : الرجل الضخم .

(٥) الألوقة : طعام يصنع من الزبد . وانظر ما نقله لسان العرب (مادة : ألق) في الردّ على من توهم أن اللوقة والألوقة لمعنى واحد لما بينهما من تقارب في اللفظ .

(٦) عود طيب الرائحة يتبخّر به .

(٧) قال ابن جني في باب تداخل الأصول الثلاثية والرباعية والخماسية : « ... ومن ذلك قولهم : رجل ضياط وضيطار . فقد ترى تشابه الحروف والمعنى مع ذلك واحد ، فهو أشدّ لإلباسه . وإنما ضياط من تركيب (ض ي ط) وضيطار من تركيب (ض ط ر) ومن ذلك : لوقة وألوقه . وصوص وأصوص . وينجوج وألنجوج ويلنجوج . وضيف وضيفن في قول أبي زيد ... » وانظر الباب في الخصائص ٢ : ٤٥ .

أحدهما ، وخماسياً صاحبه ، كدِمث ودِمثر ، وسَبِط وسِبطر ، ولؤلؤ ولَأَّل ، والضَبغْطَى [1] والضَبغْطرَى [1] ومنه قوله :

قد دَرْدَبتْ والشيخُ دَرْدَبيس [2]

وقد مضى هذا أيضاً [3] .

ومنها التقديم والتأخير على ما قلنا في الباب الذي قبل هذا [4] في تقليب الأصول ، نحو (ك ل م) و (ك م ل) و (م ك ل) ونحو ذلك ، وهذا كله والحروف واحدة غير متجاورة . لكن من وراء هذا ضرب غيره ، وهو أن تتقارب الحروف لتقارب المعاني . وهذا باب واسع .

من ذلك قول الله سبحانه : « أَلَمْ ترَ أَنَّا أَرْسلنا الشَّياطين على الكافِرِيْن تؤُزُّهم أزّاً » [5] أي تُزعجهم وتُقلقهم . فهذا في معنى تهزّهم

---

(١) كلمة كانوا يخيفون بها الصبيان . وانظر إن شئت أبيات الدبيري في اللسان (مادة : زيز) وفي الصحاح (مادة : زأز) .

(٢) دردبت من الرباعي ، ودردبيس خماسي . وفي اللسان عن الليث (مادة : دردبس) : الدردبيس : الشيخ الكبير الهمّ ، والعجوز أيضاً يقال لها دردبيس . وأنشد :

أم عيال قحمة تعوسُ ... قد دردبت والشيخ دربيس

العوْس : هو الطَّوفان بالليل . ودردبت : خضعت وذلت » .

(٣) تحدث ابن جني في الباب المشار إليه سابقاً (الحاشية ٧ ص ٦٢) عن تداخل الثلاثي والرباعي لتشابههما ، وبعد ذكره لكثير من الأمثلة قال : « فهذا طريق تزاحم الرباعي مع الثلاثي ، وهو كثير جداً فاعرفه ، وتوقّ حمله عليه أو خلطه به ، ومزكل واحد منهما عن صاحبه ، ووالِه دونه ، فإن فيه إشكالاً . » ثم قال « وأما تزاحم الرباعي مع الخماسي فقليل ، وسبب ذلك قلة الأصلين جميعاً ... » وانظر الخصائص ٢ : ٤٩ – ٥٥

(٤) أي في بحث الاشتقاق الاكبر .

(٥) سورة مريم ١٩ : ٨٣ .

هزّاً ، والهمزة اخت الهاء،فتتقارب اللفظان لتقارب المعنيين ، وكأنهم خصّوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء ، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهزّ ، لأنك قد تهز مالا بال له ، كالجذْع [1] وساق الشجرة ونحو ذلك .

ومنه العَسْف [2] والأسف ، والعين أخت الهمزة ، كما أن الأسف يعْسف النفس وينال منها ، والهمزة أقوى من العين ، كما أن أسف النفس أغلظ من التردد بالعسف . فقد ترى تصاقب اللفظين لتصاقب المعنيين .

ومنه القَرْمة وهي الفقْرة تُحزّ على أنف البعير . وقريب منه قلّمت أظفاري ،لأن هذا انتقاص للظفر ،وذلك انتقاص للجلد ،فالراء أخت اللام ، والعملان متقاربان. وعليه قالوا فيها : الجرْفة ، وهي من (ج رف) وهي أخت جَلفت القلمَ ، إذا أخذت جُلْفته ، وهذا من (ج ل ف) ، وقريب منه الجَنف وهو المَيْل ، وإذا جَلَفت الشيء أو جَرفته فقد أملته عمّا كان عليه ، وهذا من (ج ن ف) .

---

(١) قال تعالى : « وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنيا » . سورة مريم ١٩ : ٢٥

(٢) العسف : السير على غير الطريق ، واعتسف الطريق : قطعه دون صوب توخاه . رجل عسوف لم يقصد قصد الحق . ونقل المعنى إلى الجور فقيل : عسفه : أي ظلمه . وقال محقق الخصائص « كأنه يريد بالعسف هنا السير على غير طريق وهدى ، ويناسبه قوله بعد : كما أن أسف النفس أغلظ من التردد بالعسف » .

ومثله تركيب (ع ل م) في العلامة والعَلَم . وقالوا مع ذلك : بيضة عُرْماء ، وقطيع أعرَم إذا كان فيها سواد وبياض ، وإذا وقع ذلك بان أحد اللونين من صاحبه ، فكان كل واحد منهما عَلَماً لصاحبه ، وهو من (ع ر م) قال أبو وَجْزة السعدي[1] :

ما زلن ينسُبن وَهْناً كلَّ صادقةٍ
باتت تباشر عُرْماً غير أزواج
حتى سلكن الشَوى منهن في مَسكٍ
من نسل جوّابة الآفاق مِهْداج

ومن ذلك تركيب (ح م س) و (ح ب س) قالوا : حبست الشيء ، وحمس الشر إذا اشتدّ . والتقاؤهما أن الشيئين إذا حبس أحدهما صاحبه تمانعا وتعازّا ، فكان ذلك كالشرّ يقع بينهما .

ومنه العَلَب : الأثر ، والعَلَم : الشقّ في الشَفَة العليا . فذاك من (ع ل ب) وهذا من (ع ل م) والباء أخت الميم ، قال طَرَفة :

---

(١) جاء في لسان العرب (مادة : هدج) : هدجت الريح هدْجاً أي حنّت وصوّتت ، ويقال للريح الحنون لها هدجة : مهداج » ثم روى بيتي السعدي في وصف حمر الوحش وقال : لأن الريح تستدر السحاب وتلقحه فيمطر فالماء من نسلها ... والمسك : الأسورة من الذبل (كالعاج) شبه بـــه الشعر الذي في قوائم الحمر . وقوله : من نسل جوابة الآفاق ، يريد : الريح ، يعني أن الماء من نسل الريح لأنها الجالبة له ... وهذا وصف الحمر لما أتت في طلاب الماء ليلاً وأنها أثارت القطا فصاحت : قطاقطا ، فجعلها صادقة لكونها خبرت باسمها ، كما يقال : أصدق من قطا . وقوله : تباشر عُرماً عنى به بيضها ، والأعرم : الذي فيه نقط بياض ونقط سواد ، وكذلك بيض القطا . وقوله : غير أزواج ، يريد : أن بيض القطا أفراد ولا يكون أزواجاً » . والشوى من الدابة أطرافها . أي أن تلك الحمر التي أثارت القطا نزلت في الماء فصار لقوائمها كالمسك .

كأن عُلوبَ النِسْعِ في دَأَياتِها

موارد من خلقاء في ظَهْرِ قَرْدَدِ [1]

ومنه تركيب (قرد) و (قرت) قالوا للأرض قَرْدَد، وتلك نِبَاك [2] تكون في الأرض ، فهو من قرد الشيءُ ، وتَقَرَّد إذا تجمّع ، أنشدنا أبو علي :

أَهوَى لها مِشقَص حَشْر فَشَبرقها

وكنتُ أَدعو قذاها الإثمدَ القَرِدا [3]

أي أسمي الإثمد القرد أذى لها ، يعني عينه . وقالوا : قرَت الدم عليه أي جمد ، والتاء أخت الدال كما ترى . فأما لم خُصّ هذا المعنى بذا الحرف ؟ فسنذكره في باب يلي هذا بعون الله تعالى .

ومن ذلك (العَلَز) : خفة وطيش وقلق يعرض للانسان ، وقالوا (العلَّوْص) لوجع في الجوف يلتوي له الانسان ويقلق منه . فذلك من (ع ل ز) وهذا من (ع ل ص) والزاي أخت الصاد .

ومنه الغَرْب : الدَّلو العظيمة ، وذلك لأنها يُغرف من الماء بها ،

---

(١) البيت من معلقة طرفة (الديوان : ٢٦) يصف ناقة ظهرت على ظهرها و (دأياتها) أضلاعها آثار الحزام كما تظهر الطرق على ظهر صخرة ملساء . والنسع : سير يشدّ به الرحل . والموارد : الطرق إلى الماء . والخلقاء : الصخرة الملساء . القردد : الأرض المرتفعة .

(٢) جمع نَبْكة وهي الأكمة .

(٣) في اللسان (مادة : هوى) منسوب لابن أحمر ، والرواية فيه : مشقصاً ... والمِشقص : السهم الطويل العريض . والحَشْر : الدقيق . شبرقها : مزّقها . والبيت في الحديث عن عينه .

فذاك من (غ ر ب) وهذا من (غ رف) ، أنشد أبو زيد :

كأن عينيّ وقد بانوني غربان في جدول منجنون [1]

واستعملوا تركيب (ج ب ل) و (ج ب ن) و (ج ب ر) لتقاربها في موضع واحد ، وهو الالتئام والتماسك . منه الجبل لشدته وقوته ، وجبن إذا استمسك وتوقف وتجمع ،ومنه جبرت العظم ونحوه أي قويته [2] .

وقد تقع المضارعة في الأصل الواحد بالحرفين،نحو قولهم : السيحيل والصهيل قال :

كأنّ سحيله في كل فجرٍ على أحساءِ يَمْؤود دُعاءُ [3]

وذلك من (س ح ل) وهذا من (ص ه ل) والصاد أخت السين كما أن الهاء أخت الحاء . ونحو منه قولهم (سحل) في الصوت و (زحر) والسين أخت الزاي ، كما أن اللام أخت الراء .

وقالوا (جلف وجرم) فهذا للقشر ، وهذا للقطع ، وهما متقاربان معنىً ، متقاربان لفظاً ، لأن ذاك من (ج ل ف) وهذا من (ج ر م) .

---

(١) بانوني : أي بانواعني . والمنجنون : الدولاب .

(٢) نلاحظ هنا أن ابن جني يأخذ من المعاني الجانب المناسب له المؤيد لنظرته ؛ فهو يجمع بين الجبل والجبان بالتوقف والتماسك !! وأين الجبن من الجبر وفيه معنى القوة؟

(٣) البيت لزهير من قصيدته :

عفا من آل فاطمة الجواء فيُمن فالقوادم فالحساء

وهو في شرح ديوان زهير : ٧٠ (طبعة دار الكتب بالقاهرة) وفيه : يمؤود : أرض . وأحساء : جمع واحدها حِسْي ، وهي مواضع يكون فيها الماء . ودعاء : شبه صوت الحمار بإنسان يدعو صاحبه .

وقالوا : صال يصول ، كما قالوا : سار يسور .

نعم وتجاوزوا ذلك الى أن ضارعوا بالأصول الثلاثة : الفاء والعين واللام . فقالوا عصر الشيء،وقالوا : أزَله ، إذاحبسه ، والعصرضرب من الحبس ، وذلك من (ع ص ر) وهـذا من (أزل) والعين أخت الهمزة ، والصاد أخت الزاي ، والراء أخت الـلام . وقالوا : الأزْم : المنع ، والعَصب : الشدّ ، فالمعنيان متقاربان ، والهمزة أخت العين ، والزاي أخت الصاد ، والميم أخت الباء . وذلك من (أزم) وهـذا من (ع ص ب) .

وقالوا : السَلْب والصَرْف ، وإذا سُلب الشيءُ فقد صُرف عن وجهه . فذاك من (س ل ب) وهـذا من (ص ر ف) والسين أخت الصاد ، واللام أخت الراء ، والباء أخت الفاء .

وقالوا : الغَدْر ، كما قالوا الختْل ، والمعنيان متقاربان ، واللفظان متراسلان فذاك من (غ د ر) وهذا من (خ ت ل) فالغين أخت الخاء والدال أخت التاء ، والراء أخت اللام.

وقالوا : زأر ، كما قالوا . سَعَل ، لتقارب اللفظ والمعنى .

وقالوا : عَدَن بالمكان ، كما قالوا : تأطّر ، أي أقام وتلبّث .

وقالوا : شرب ، كما قالوا : جَلف ، لأن شارب المـــاء مُفن له ، كالجَلْف للشيء [1] .

(١) الجلف : الاستئصال .

وقالوا : ألته [1] حقّه : كما قالوا : عانده . وقالوا : الاوفة للحدّ بين الشيئين ، كما قالوا : علامة . وقالوا : قفز ، كما قالوا : كبَس ، وذلك أن القافز إذا استقرّ على الأرض كبسها .

وقالوا : صهل ، كما قالوا : زأر . وقالوا : الهِتْر ، كما قالوا : الإدّ [2] ، وكلاهما العجَب .

وقالوا : كلِف به ، كما قالوا : تقرّب منه ، وقالوا : تجعّد كما قالوا ، شَحط ، وذلك أن الشيء إذا تجعد وتقبّض عن غيره شحط وبعد عنه ، ومنه قول الأعشى :

إذا نزل الحيّ حلّ الجَحيش شَقياً غَوياً مُبيناً غيُوراً [3]

وذلك من تركيب (ج ع د) وهذا من تركيب (ش ح ط) فالجيم أخت الشين ، والعين أخت الحاء ، والدال أخت الطاء . وقالوا : السيف والصَوْب ، وذلك أن السيف يوصف بأنه يَرْسُب في الضريبة لحِدّته ومضائه ، ولذلك قالوا : سيف رَسُوب ، وهذا هو معنى صاب يصوب

(١) قال تعالى « والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء » الطور ٥٢ : ٢١ .

(٢) الهِتْر : العجب . وأما الإدّ ففي اللسان أنه اللبن الخاثر الشديد الحموضة . وأنه وجع يأخذ بالعنق ، ولعله كالصَيَد أمال عنق من نزل به فنقل إلى العجب !!

(٣) يصف رجلاً غيوراً على امرأته فهو إذا نزل القوم اعتزلهم معها فحلّ الجَحيش وهو المكان المنفرد . وفي اللسان (مادة : جحش) أنه منصوب على الظرفية المكانية أو على الحال مع زيادة اللام أو مرفوع على أنه زوجها المنفرد بها وهو فاعل حلّ أو خبر لمبتدأ مضمر . وهو في الديوان : ٨٦ .

إذا انحدر . فذاك من (س ي ف) وهذامن(ص و ب) فالسين أخت الصاد ، والياء أخت الواو ، والفاء أخت الباء . وقالوا : جاع يجوع ، وشاء يشوء ، والجائع مريد للطعام لا محالة ، ولهذا يقول المدعو إلى الطعام إذا لم يجب : لا أريد ، ولست أشتهي ، ونحو ذلك ، والإرادة هي المشيئة . فذاك من (ج و ع) وهذا من (ش ي أ) والجيم أخت الشين ، والواو أخت الياء ، والعين أخت الهمزة .

وقالوا : فلان حِلْسُ بيته إذا لازمه . وقالوا : أرَزَ إلى الشيء إذا اجتمع نحوه ، وتقبّض إليه ، ومنه : إن الاسلام ليأرِز إلى المدينة ، وقال :

بآرزَةِ الفَقارة لم يَخُنْها قطاف في الركاب ولا خلاء[1]

فذاك من (ح ل س) وهذامن (أرز) فالحاء أخت الهمزة ، واللام أخت الراء ، والسين أخت الزاي . وقالوا : أفل ، كما قالوا : غبر ، لأن أفل : غاب ، والغابر غائب أيضاً . فذاك من (أ ف ل) وهذا من (غ ب ر) فالهمزة أخت الغين ، والفاء أخت الباء ، واللام أخت الراء .

وهذا النحو من الصنعة موجود في أكثر الكلام وفَرْش اللغة ،

---

(١) لزهير في وصف الناقة (شرح الديوان : ٦٣) . والآرزة : الدانية بعضها من بعض ، أراد أنها مجتمعة الفِقْرة أو الفقارة (أي فقرالظهر) ولم يخنها : أي لم يقصر بها . والقطاف : مقاربة الخطو . والرِكاب : الإبل . والخِلاء : أن تبرك فلا تبرح ، وهو في الناقة كالحران في الخيل .

وإنما بقي من يثيره ويبحث عن مكنونه، بل من إذا أُوضح له وكُشفت عنده حقيقته طاع طبعُه لها فوعاها وتقبلها . وهيهات ذلك مطلباً ، وعز فيهم مذهباً . وقد قال أبو بكر : من عَرَف ألف ، ومن جهل استوحش . ونحن نُتبع هذا الباب باباً أغرَب منه ، وأدلّ على حكمة القديم سبحانه ، وتقدست اسماؤه ، فتأمله تحظ به بعون الله تعالى .

* * *

النصّ الخامس (١)

باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني (٢)

اعلم أنّ هذا موضع شريف لطيف . وقد نبّه عليه الخليل وسيبويه

(١) من كتاب الخصائص ٢ : ١٥٢ .

(٢) فكرة النص : يرى ابن جني أن أصل الفكرة إنما سبق إليها الخليل وسيبويه ، وأنه الآن إنما يترسم خطاهما ، ويقيس على نحو ماقاسا ، إنهما حاولا أن يشيرا إلى التقابل بين أصوات الألفاظ وما تدل عليه من المعاني ، فأخذ ابن جني هذه الفكرة وسار بها شوطاً بعيداً ؛ إنه يرى :

١ّ – أن المضعف من المصادر الرباعية يأتي للتكرير ، أي أن تكرار الحرف في اللفظ يقابل تكرار الحدث أو الفعل في الواقع كما في زلزل وجرجر .

٢ّ – وأن توالي الحركات في اللفظ يقابل توالبها في الحدث كما في البشكى والولقى .

٣ّ – وأن ترتيب الحروف في الكلمات يقابل ترتيب الأفعال التي تدلّ عليها تلك الكلمات كما في استسقى واستجدى .

٤ّ – وأن تكرير العين في بناء الفعل (وهي أقوى حروفه) يقابل تكرير الفعل نفسه كما في كسّر وغلّق .

٥ّ – وأن تكرير العين واللام في البناء يدلّ على المبالغة في المعنى كما في دمكمك وغشمشم .

٦ّ – وأن الأبنية بأصواتها تقابل أصوات الأحداث أو الأفعال التي تدل عليها كما في خضم وقضم .

٧ّ – وأن ترتيب أصوات الحروف في الأبنية يقابل ترتيب الأحداث أو الأفعال في الواقع ؛ فأول الحروف يضاهي أولّ الحدث ، وأوسطها يضاهي أوسطه ، وآخرها يضاهي آخره ، سوقاً للحروف على سمت المعنى المقصود كما في بحث وشذّ .

ويرى ابن جني أخيراً أن ماسبق لم يقع في هذه اللغة الشريفة مصادفة وإنما هو أمر مقصود دلت عليه حكمة العرب التي شهدت بها العقول .

ويختتم الباب بملاحظة طريفة خلاصتها أن كلاً من الدال والتاء والطاء والراء واللام والنون ، إذا اقترن مع الفاء ، سواء كانت قبله أو بعده ، دلت الكلمة التي اقترنا فيها على الضعف والوهن كما في : الدالف ، والتالف ، والطليف ، والطنف ، والدّنف ، والفرد ، والفتور ، والطفل .

وتلقّته الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحته .

قال الخليل : كأنهم توهّموا في صوت الجُندُب استطالةً ومدّاً فقالوا : صرّ ، وتوهّموا في صوت البازي تقطيعاً فقالوا : صرصر .

وقال سيبويه [1] في المصادر التي جاءت على الفَعَلان : إنها تأتي للاضطراب والحركة ، نحو : النَّقَزان [2] ، والغلَيان ، والغثَيان . فقابلوا بتوالي حركات المثال [3] توالي حركات الأفعال .

ووجدت أنا من هذا الحديث أشياء كثيرة على سمت ما حدّاه ، ومنهاج ما مثّلاه . وذلك أنك تجد المصادر الرباعية المضعّفة ، تأتي للتكرير ، نحو : الزعزعة ، والقلقلة ، والصلصلة والقعقعة ، والصعصعة [4] والجرجرة ، والقرقرة ، ووجدت أيضاً (الفَعلى) في المصادر والصفات إنما تأتي للسرعة ، نحو : البشَكى [5] ، والجمزَى [6] ، والوَلَقى [7] ،

---

(١) قال سيبويه : « ومن المصادر التي جاءت على مثال واحد حين تقاربت المعاني قولك : النزوان والنقزان والقفزان ... » الكتاب ٢ : ٢١٨ .

(٢) نقز الظبي : وثب .

(٣) أي البناء . والجملة تلخيص للفكرة بلفظ ابن جني .

(٤) أي الزعزعة والقلقلة ، وصعصع صعصعة وصعصاعا . ويقال : ذهبت الإبل صعاصع ، أي : متفرقة .

(٥) امرأة بَشَكى اليدين أو العمل : سريعة . البَشَك : السرعة وخفة نقل القوائم . وناقة بَشَكى .

(٦) حمار جَمَزَى : وثاب سريع .

(٧) ناقة وَلَقَى : سريعة . والوَلْق : السير السهل السريع . والوَلَقى : عدو فيه نَزْو .

قال رؤبة :

أو بَشَكى وَخْدَ الظَّليمِ النزّ [1]

وقال الهذليّ [2] :

كأني ورحلي إذا هجّرت على جَمَزَى جازىء بالرمال
أوَ اصْحَم حامٍ جراميزه حزَابيةٍ حيدَى بالدحال

فجعلوا المثال المُكرَّر للمعنى المكرر – أعني باب القلقلة – والمثال الذي توالت حركاته للأفعال التي توالت الحركات فيها .

ومن ذلك – وهو أصنع منه – أنهم جعلوا (استفعل) في أكثر الأمر للطلب ، نحو استسقى ، واستطعم ، واستوهب ، واستمنح ، واستقدم عمراً ، واستصرخ جعفراً . فرُتِّبت في هذا الباب الحروفُ على ترتيب

---

(١) الظليم النزّ : الذي لايستقرّ في مكان . والوخْد : سير للإبل سريع واسع الخطو . يقال : وخد البعير يخد وخدا ووخَدانا فهو واخد ووخاد . والشاهد من أرجوزة لرؤبة نجدها في ديوانه : ٦٣ – ٦٦ .

(٢) يعني بالهذلي أمية بن أبي عائذ . والبيتان في الديوان غير متتالين (ديوان الهذليين ٢ : ١٧٥ و ١٧٦) . ورواية البيت الأول فيه : كأني ورحلي إذا رعتها . وكذلك رواه اللسان (مادة : جمز) . وجاء في الديوان : « رعتها : هو أن يزجزها ويضربها .

وجمزى : حمار يجمز (أي يسرع) . قال الأصمعي : لم أسمع فَعَلى مذكراً إلا في هذا الحرف .

وجازىء : اجتزأ بالرُّطْب عن الماء . يقال : جزئت الإبل جَزْءاً ، بالضم .

والأصحم : حمار يضرب إلى الصفرة والسواد . جراميزه : بدنه . وحزابية : مجتمع الخَلق .

وحَيَدى : يحيد (أي يجيد عن ظله لشدّة سرعته) . والدّحال : جَدْحل ، وهي هوّة من الأرض فيها ضيق .

الأفعال . وتفسير ذلك أن الأفعال المحدَّث عنها أنها وقعت عن غير طلب إنما تفجأ حروفُها الأصولُ ، أو ما ضارع بالصنعة الأصول

فالأصول نحو قولهم : طعم ووهب ، ودخل وخرج ، وصعد ونزل • فهذا إخبار بأصولٍ فاجأت عن أفعالٍ وقعت ، ولم يكن معها دلالة تدل على طلبٍ لها ولا إعمال فيها • وكذلك ما تقدمت الزيادة فيه على سمت الأصل ، نحو : أحسن، وأكرم ، وأعطى، وأولى • فهذا من طريق الصنعة بوزن الأصل في نحو: دحرج ، وسرهف [1] ، وقوقى وزوزى [2] • وذلك أنهم جعلوا هذا الكلام عبارات عن هذه المعاني ، فكلما زادت العبارة شبهاً بالمعنى كانت أدلّ عليه ، وأشهد بالغرض فيه .

فلما كانت إذا فاجأت الأفعال ، فاجأت أصول المثُل الدالة عليها ، أو ما جرى مجرى أصولها ، نحو: وهب ، ومنح ، وأكرم ، وأحسن ، كذلك إذا أخبرت بأنك سعيت فيها وتسبَّبت لها ، وجب أن تقدم أمام حروفها الأصول ، في مُثُلها الدالة عليها ، أحرفاً زائدة على تلك الأصول تكون كالمقدمة لها ، والمؤدية إليها .

وذلك نحو : استفعل ، فجاءت الهمزة والسين والتاء زوائد ، ثم وردت بعدها الأصول : الفاء ، والعين ، واللام . فهذا من اللفظ وفق المعنى الموجود هناك • وذلك أن الطلب للفعل ، والتماسه ، والسعي فيه ، والتأتي لوقوعه ، تقدَّمه ثم وقعت الإجابة إليه ، فتبع الفعلُ

(١) سرهفت الصبي : أحسنت غذاءه ورفهته .
(٣) زوزى الرجل : إذا نصب ظهره وأسرع في عدوه .

السؤال فيه والتسبب لوقوعه. فكما تبعت أفعالُ الإجابة أفعالَ الطلب، كذلك تبعت حروفُ الأصل الحروفَ الزائدة التي وضعت للالتماس والمسألة. وذلك نحو: استخرج، واستقدم واستوهب، واستمنح، واستعطى، واستدنى. فهذا على سمت الصنعة التي تقدّمت في رأي الخليل وسيبويه، إلا أن هذه أغمض من تلك. غير أنها وإن كانت كذلك فإنها منقولة عنها، ومعقودة عليها. ومن وجد مقالاً قال به وإن لم يسبق إليه غيره. فكيف به إذا تبع العلماء فيه، وتلاهم على تمثيل معانيه.

ومن ذلك أنهم جعلوا تكرير العين في المثال دليلاً على تكرير الفعل، فقالوا: كسَّر، وقطّع، وفتّح، وغلّق. وذلك أنهم لما جعلوا الألفاظ دليلة المعاني فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابل به قوة الفعل، والعين أقوى من الفاء واللام، وذلك لأنها واسطة لهما، ومكنوفة بهما، فصارا كأنهما سياج لها، ومبذولان للعوارض دونها. ولذلك تجد الإعلال بالحذف فيهما دونها. فأما حذف الفاء ففي المصادر من باب وعد، نحو: العِدة، والزنة، والطِدة[1]، والتِدة[1]، والهبة، والإبة. وأما اللام فنحو: اليد، والدم، والفم، والأب، والأخ، والسنة، والمائة، والفئة. وقلّما تجد الحذف في العين.

---

(١) وطد الشيء: ثبت. ومثلها وتد. يقال وتد الوتدَ يتده وأوتده أي ثبته. ومنه: وتد الأمر ووطده.

فلما كانت الأفعال دليلة المعاني كرروا أقواها ، وجعلوه دليلاً على قوة المعنى المحدَّث به ، وهو تكرير الفعل ، كما جعلوا تقطيعه في نحو: صرصر وحقحق، دليلاً على تقطيعه. ولم يكونوا ليضعفوا الفاء ولا اللام لكراهية التضعيف في أول الكلمة والإشفاق على الحرف المضعّف أن يجيء في آخرها ، وهو مكان الحذف وموضع الإعلال ، وهم قد أرادوا تحصين الحرف الدال على قوة الفعل . فهذا أيضاً من مساوقة الصيغة للمعاني .

وقد أتبعوا اللام في باب المبالغة العينَ ، وذلك إذا كررت العين معها في نحو : دَمَكمك[1] وصمحْمح[2] ، وعَركْك[3] وعصبصب[4] وغشمشم[5] ، والموضع في ذلك للعين وإنما ضامّتها اللامُ هنا تبعاً لها ولاحقة بها ، ألا ترى إلى ما جاء عنهم للمبالغة من نحو : اخلولق ، واعشوشب ، واغدودن[6] ، واحمَوْمى[7] ، واذلولى[8] ، واقطَوْطى[9] ، وكذلك في الاسم ، نحو عثوثل[10] ، وغَدودن

---

(١) الدمكمك : الشديد القوي .
(٢) الصمحمح : الرجل الشديد المجتمع الألواح والقصير .
(٣) العركرك : القوي الغليظ .
(٤) يوم عصبصب أو عصيب : شديد الحر أو شديد .
(٥) الغشمشم : من يركب رأسه فلا يثنيه عن مراده شيء .
(٦) اغدودن الشجر فهو مُغْدودِن أي صار ناعماً متثنياً .
(٧) احومّى الشيء أي أسودّ كالليل والسحاب .
(٨) اذلولَى : أسرع .
(٩) القَطوْطى : مقاربة الخطو .
(١٠) العَثوْثل : الضخم المسترخي .

وخفيْدد [1] ، وعَقنْقل [2] ، وعبنْبل [3] ، وهجنْجل ، قال .

ظلت وظلَّ يومُها حَوْبَ حَلِ

وظلَّ يومٌ لأبي الهَجَنْجلِ [4]

فدخول لام التعريف فيه مع العلَميّة يدل على أنه في الأصل صفة كالحارث ، والعباس ؛ وكل واحد من هذه المُثُل قد فصل بين عينيه بالزائد لا باللام .

فعلمت أن تكرير المعنى في باب صمحمح إنما هو للعين ، وإن كانت اللام فيه أقوى من الزائد في باب افعوعل وفعوعل وفعيعل وفعنعل ، لأن اللام بالعين أشبه من الزائد بها ، ولهذا أيضاً ضاعفوها كما ضاعفوا العين للمبالغة ، نحو : عُتُلّ [5] ، وصُمُلّ [6] ، وقُمدّ [7] . وحُزُقّ [8] ، إلاّ أن العين أقعد في ذلك من اللام ، ألا ترى أن الفعل

---

(١) الخفيدد والخفيفد : الخفيف من الظلمان (ج : ظليم وهو ذكر النعام) .

(٢) العقنقل : الوادي العظيم المتسع والكثيب المتراكم .

(٣) العبنبل : الضخم الشديد . من العبْل : وهو الضخم من كل شيء ، يقال : عبل وأعبل وهي عبلة .

(٤) حَوْب : كلمة لزجر الإبل ، وفيها ثلاث لغات : الضم والفتح والكسر . وحل : كلمة لزجر إناثها . والبيت في اللسان (مادة : هجل) وبعده : أي وظل يومها مقولاً فيه : حوب حل .

(٥) العُتُلّ : الشديد .

(٦) صُمُل : اشتدّ . والصمُل : الشديد الخَلق .

(٧) القمُدّ : القوي .

(٨) الحُزُقّ : السيء الخلق البخيل .

الذي هو موضع للمعاني لا يضعّف ولا يؤكد تكريره إلاّ بالعين . هذا هو الباب . فأما اقعنسس ، واسحنكك [1] فليس الغرض فيه التوكيد والتكرير ، لأن ذا إنما ضعّف للإلحاق ، فهذه طريق صناعية ، وباب تكرير العين هو طريق معنوية ، ألا ترى أنهم لما اعتزموا إفادة المعنى توفروا عليه ، وتحاموا طريق الصنعة والإلحاق فيه ، فقالوا : قطّع ، وكسّر ، تقطيعاً وتكسيراً ، ولم يجيئوا بمصدره على مثال (فعللة) فيقولوا : قطّعةً ، وكسّرةً ، كما قالوا في الملحق : بيْطر بيطرة ، وحوقل حوقلة ، وجهْور جهورة .

ويدلك على أن افعوعل لما ضعّفت عينه للمعنى انصرف به عن طريق الإلحاق تغليباً للمعنى على اللفظ ، وإعلاماً أن قدر المعنى عندهم أعلى وأشرف من قدر اللفظ ، أنهم قالوا في افعوعل من رددت : اردودّ ، ولم يقولوا : اردودد ، فيظهروا التضعيف للإلحاق كما أظهروه في باب اسحنكك ، واكلندد ، لما كان للإلحاق باحرنجم ، واخرنطم ، ولا تجد في بنات الأربعة نحو : احرْوجم ، فيظهروا (افعوعل) من رددت فيقال (اردودد) لأنه لا مثال له رباعياً فيلحق هذا به .

فهذا طريق المثل واحتياطاتهم فيها بالصنعة ، ودلالاتهم منها على الإرادة والبغية .

فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم

---

(١) المُسْحنكك من كل شيء : الشديد السواد .

واسع ، ونهج مُتلْئبّ [1] عند عارفيه مأموم . وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبَّر بها عنها ، فيعدّلونها بها ويحتذونها عليها . وذلك أكثر مما نقدره ، وأضعاف ما نستشعره .

من ذلك قولهم : خضِم ، وقضم ، فالخضم لأكل الرَّطب ، كالبطّيخ والقِثاء وما كان نحوهما من المأكول الرطب . والقضم للصلب اليابس ، نحو : قضمت الدابة شعيرها ، ونحو ذلك . وفي الخبر « قد يُدرك الخضم بالقضم » أي قد يدرك الرخاء بالشدة ، واللين بالشظف . وعليه قول أبي الدرداء : « يخضمون ونقضم والموعد الله » فاختاروا الخاء لرخاوتها للرَّطب ، والقاف لصلابتها لليابس ، حذواً لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث .

ومن ذلك قولهم : النضْح للماء ونحوه ، والنضخ أقوى من النضح ، قال الله سبحانه : « فيهما عينانِ نضّاختان » [2] فجعلوا الحاء ـ لرقتها ـ للماء الضعيف ، والخاء ـ لغلظها ـ لما هو أقوى منه .

ومن ذلك قولهم القدّ طولاً ، والقطّ عرضاً ، وذلك أن الطاء أحصر للصوت وأسرع قطعاً له من الدال ، فجعلوا الطاء المُناجزَة لقطع العرض لقربه وسرعته ، والدالَ المماطِلة لما طال من الأثر ؛ وهو قطعه طولاً .

ومن ذلك قولهم : قرَت الدمُ ، وقرد الشيء ، وتقرَّد ، وقرَط يقرُط . فالتاء أخفت الثلاثة ، فاستعملوها في الدم إذا جف ، لأنه قصْد

(١) ائتلأبّ الأمر : استقام .
(٢) سورة الرحمن ٥٥ : ٦٦ .

ومستخف في الحِس عن القرْدَد الذي هو النِباك في الأرض ونحوها. وجعلوا الطاء ـ وهي أعلى الثلاثة صوتاً ـ للقرط[1] الذي يسمع، وقرد من القِرد، وذلك لأنه موصُوف بالقلة والذلّة، قال الله تعالى: «فقلنا لهم كونوا قِردةً خاسئين[2]».

ينبغي أن يكون (خاسئين) خبراً آخر لـ (كونوا) والأول (قِردة) فهو كقولك: هذا حلو حامض. وإن جعلته وصفاً لقردة صغّر معناه؛ ألا ترى أن القرد لذلّه وصغاره خاسىء أبداً، فيكون إذاً صفة غير مفيدة. وإذا جعلت (خاسئين) خبراً ثانياً حسن وأفاد حتى كأنه قال: كونوا قردة وكونوا خاسئين، ألا ترى أنه ليس لأحد الاسمين من الاختصاص بالخبرية إلا ما لصاحبه، وليس كذلك الصفة بعد الموصوف، إنما اختصاص العامل بالموصوف ثم الصفة من بعد تابعة له.

ولست أعني بقولي: إنه كأنه قال تعالى: كونوا قردة، كونوا خاسئين، أن العامل في خاسئين عامل ثان غير الأول، معاذ الله أن أريد ذلك، إنما هذا شيء يقدّر من البدل. فأما في الخبرين فإن العامل فيهما جميعاً واحد، ولو كان هناك عامل آخر لما كانا خبرين لمخبر عنه واحد، وإنما مفاد الخبر من مجموعهما[3]. ولهذا كان عند أبي عليّ أن

(١) القِرْط: الكرْات. قرطه تقريطاً: قطعه في القدر.

(٢) سورة البقرة ٢: ٦٥.

(٣) إذا كان كل من (القردة) و(خاسئين) يصح أن يكون خبراً فليس العائد على المبتدأ من مجموعهما.

وفي قولنا: هذا حلو حامض، أقوال: فالفارسي على أن الضمير في الثاني دون الأول، والخبر بتمامها. وغيره على أن الضمير في الأول دون الثاني الذي هو كالصفة، وأبو حيان على أن كلاً منهما يحمل ضميراً لاشتقاقها، ولا يلزم على هذا أن يكون كل واحد منهما خبراً لأن المقصود جمع الطعمين. وانظر همع الهوامع ١: ٩٥.

العائد على المبتدأ من مجموعها ، لا من أحدهما ، لأنه ليس الخبر بأحدهما. بل بمجموعهما . وإنما أريد أنك متى شئت باشرت بـ (كونوا) أيّ الاسمين آثرت ، وليست كذلك الصفة .

ويؤنّس بذلك أنه لو كانت (خاسئين) صفة لـ (قردة) لكان الأخلق أن يكون (قردة خاسئة) ، وفي أن لم يقرأ بذلك البتة دلالة على أنه ليس بوصف • وإن كان قد يجوز أن يكون (خاسئين) صفة لقردة على المعنى ، إذ كان المعنى أنها هي هم في المعنى ، إلاّ أن هذا إنما هو جائز وليس بالوجه ، بل الوجه أن يكون وصفاً لو كان على اللفظ. فكيف وقد سبق ضعف الصفة هاهنا . فهذا شيء عرض قلنا فيه ، ثم لنعد •

أفلا ترى إلى تشبيههم الحروف بالأفعال، وتنزيلهم إياها على احتذائها.

ومن ذلك قولهم: الوسيلة ، والوصيلة . والصاد ـ كما ترى ـ أقوى صوتاً من السين ، لما فيها من الاستعلاء ، والوصيلة أقوى معنى من الوسيلة . وذلك أن التوسّل ليست له عصمة الوصل والصلة ، بل الصلة أصلها من اتصال الشيء بالشيء ، ومماسّته له، وكونه في أكثر الأحوال بعضاً له ، كاتصال الأعضاء بالانسان ، وهي أبعاضه ، ونحو ذلك ، والتوسل معنى يضعف ويصغر أن يكون المتوسّل جزءاً أو كالجزء من المتوسَّل إليه . وهذا واضح ، فجعلوا الصاد لقوتها ، للمعنى الأقوى ، والسين لضعفها ، للمعنى الأضعف •

ومن ذلك قولهم : الخذا : في الأُذُن [1] ، والخذأ : الاستخذاء . فجعلوا الواو في خذواء ـ لأنها دون الهمزة صوتاً ـ للمعنى الأضعف وذلك أن استرخاء الأذن ليس من العيوب التي يسبّ بها ، ولا يتناهى في استقباحها . وأما الذل فهو من أقبح العيوب ، وأذهبها في المَزْراة والسب ، فعبّروا عنه بالهمزة لقوتها ، وعن عيب الأذن المحتمل بالواو لضعفها . فجعلوا أقوى الحرفين لأقوى العيبين ، وأضعفهما لأضعفهما.

ومن ذلك قولهم:قد جفا [2] الشيء يجفو ، وقالوا : جفأ [3] الوادي بغُثائه ، ففيهما كليهما معنى الجفاء،لارتفاعهما ، إلاّ أنهم استعملوا الهمزة في الوادي لما هناك من حفزه وقوة دفعه .

ومن ذلك قولهم : صعِد وسعِد . فجعلوا الصاد ـ لأنها أقوى ـ لما فيه أثر مشاهَد يُرى ، وهو الصعود في الجبل والحائط ، ونحو ذلك، وجعلوا السين ـ لضعفها ـ لما لا يظهر ولا يشاهد حساً ، إلاّ أنه مع ذلك فيه صعود الجَدّ ،لاصعود الجسم ، ألا تراهم يقولون : هو سعيد الجَدّ ، وهو عالي الجَد ، وقد ارتفع أمره،وعلا قدره . فجعلوا الصاد لقوتها ، مع ما يشاهد من الأفعال المعالجة المتجشَّمة ، وجعلوا السين

---

(١) الأذن الخذواء : المسترخية .

(٢) جفا وتجافى : لم يطمئن ، وتجافى جنبه عن الفراش ارتفع ونبا ، وكذلك جفا السرجُ عن ظهر الفرس .

(٣) جفأ الوادي : رمى بالزبد والقذى ، وكذلك جفأت القدر إذا رمت مافيها عند الغليان .

لضعفها ، فيما تعرفه النفس وإن لم تره العين ، والدلالة اللفظية أقوى من الدلالة المعنوية .

فإن قلت : فكان يجب على هذا أن يكون الخذا في الأذن مهموزاً ، وفي الذلّ غير مهموز ، لأن عيب الأذن مشاهَد ، وعيب النفس غير مشاهد ، قيل : عيب الأذن وإن كان مشاهَداً ، فإنه لاعلاج فيه على الأذن ، وإنما هو خمول وذبول . ومشقة الصاعد ظاهرة مباشرة معتدّة متجشمة ، فالأثر فيها أقوى ، فكانت بالحروف الأقوى ـ وهو الصاد ـ أحرى .

ومن ذلك أيضاً سَدٌّ وصَدٌّ ، فالسد دون الصد ، لأن السد للباب يُسد ، والمنْظَرَة ونحوها ، والصَدُ جانب الجبل والوادي والشِعب ، وهذا أقوى من السد ، الذي قديكون لثَقْب الكوز ورأس القارورة ونحو ذلك ، فجعلوا الصاد لقوتها للأقوى ، والسين لضعفها للأضعف .

ومن ذلك القَسْم والقَصْم . فالقصم أقوى فعلاً من القسْم ، لأن القصم يكون معه الدقّ ، وقديقسم بين الشيئين فلاينكأ أحدهما ، فلذلك خُصّت بالأقوى الصاد ، وبالأضعف السين .

ومن ذلك تركيب (ق ط ر) و (ق د ر) و (ق ت ر) فالتاء خافية متسفلة ، والطاء سامية متصعّدة ، فاستعملتا ـ لتعاديها ـ في الطرفين ، كقولهم : قُتْر الشيء وقُطْره [1] .

(١) قتر الشيء وقطره : ناحيته أو جانبه .

والدال بينهما ، ليس لها صعود الطاء، ولانزول التاء ، فكانت لذلك واسطة بينهما ، فعبّر بها عن معظم الأمر ومقابلته . فقيل قَدْر الشيء لجماعه ومحر نَجِمه [1] . وينبغي أن يكون قولهم : قَطَر الإناءُ الماءَ ونحوه إنما هو (فَعَل) من لفظ القَطْر ومعناه. وذلك أنه إنما ينقط الماء عن صفحته الخارجة وهي قطره . فاعرف ذلك .

فهذا ونحوه أمر إذا أنت أتيته من بابه ، وأَصلحت فكرك لتناوله وتأمله ، أعطاك مقادته ، وأركبك ذروته ، وجلا عليك بَهجاتِه ومحاسنَه . وإن أنت تناكرته ، وقلت : هذا أمر منتشِر ، ومذهب صعب مُوعِر ، حرمت نفسك لذته ، وسددت عليها باب الحُظْوة به.

نعم ، ومن وراء هذا ما اللطف فيه أظهر ، والحكمة أعلى وأصنع . وذلك أنهم قد يضيفون إلى اختيار الحروف وتشبيه أصواتها بالأحداث المعبَّر عنها بها ترتيبَها ، وتقديم ما يضاهي أولَ الحدث ، وتأخير ما يضاهي آخره ، وتوسيط ما يضاهي أوسطه ، سوقاً للحروف على سمت المعنى المقصود ، والغرض المطلوب .

وذلك قولهم : بحث، فالباء لغلظها تشبه بصوتها خَفْقة الكف على الأرض، والحاء لصَحلها [2] تشبه مخالب الأسد وبراثن الذئب ونحوهما إذا غارت في الأرض ، والثاء للنفث ، والبث للتراب . وهذا أمر تراه محسوساً محصّلا ، فأي شبهة تبقى بعده ، أم أي شك يعرض على مثله .

(١) احرنجم : اجتمع .
(٢) الصَحل : بُحة في الصوت (صحِل الرجل يصحَل صَحلا صار أبحّ) .

وقد ذكرت هذا في موضع آخر من كتبي لأمر دعا إليه هناك. فأما هذا الموضع فإنه أهله وحقيق به ، لأنه موضوع له ولأمثاله .

ومن ذلك قولهم: شدّ الحبل ونحوه . فالشين بما فيها من التفشي تشبه بالصوت أول انجذاب الحبل قبل استحكام العقد ، ثم يليه إحكام الشد والجذب وتأريب [1] العقد ، فيعبر عنه بالدال التي هي أقوى من الشين، لا سيما وهي مدّغمة ، فهو أقوى لصنعتها وأدل على المعنى الذي أريد بها. ويقال شدَّ وهو يشدّ ،فأما الشِدَّة في الأمر فإنها مستعارة من شد الحبل ونحوه ، لضرب من الاتساع والمبالغة، على حدّ ما نقول فيما يشبه بغيره لتقوية أمره المراد به .

ومن ذلك أيضاً: جرّ الشيء يجرّه ، قدّموا الجيم لأنها حرف شديد، وأول الجرّ بمشقة على الجارّ والمجرور جميعاً ، ثم عقبوا ذلك بالراء وهو حرف مكرر ، وكرروها مع ذلك في نفسها . وذلك لأن الشيء إذا جرّ على الأرض في غالب الأمر اهتز عليها ، واضطرب صاعداً عنها ، ونازلاً إليها ، وتكرر ذلك منه على ما فيه من التعتعة والقلق . فكانت الراء ــ لما فيها من التكرير ، ولأنها أيضاً قد كررت في نفسها في (جرّ) و (جررت) ــ أوفق لهذا المعنى من جميع الحروف غيرها . هذا هو محجّة هذا ومذهبه .

---

(١) سبق أن ذكرت في قول الشاعر لجرير :غضبت علينا أن علاك ابن غالب ... فانظر : ص ٤٧ .

فإن أنت رأيت شيئاً من هذا النحو لا ينقاد لك فيما رسمناه ، ولا يتابعك على ما أوردناه ،فاحد أمرين : إما أن تكون لم تنعِم النظر فيه فيقعد بك فكرك عنه ، أو لأن لهذه اللغة أصولاً وأوائل قد تخفى عنا وتقصُر أسبابها دوننا كما قال سيبويه ، أو لأن الأول وصل إليه علم لم يصل إلى الآخر .

فإن قلت فهلّا أجزت أيضاً أن يكون ما أوردته في هذا الموضع شيئاً اتفَق ، وأمراً وقع في صورة المقصود ، من غير أن يُعتقد ، وما الفرق [1] ؟

قيل : في هذا حكم بإبطال مادلّت الدلالة عليه من حكمة العرب التي تشهد بها العقول ، وتتناصر إليها أغراض ذوي التحصيل . فما ورد على وجه يقبله القياس ، وتقتاد إليه دواعي النظر والإنصاف ، حُمل عليها ونُسِبت الصنعة فيه إليها .وماتجاوز ذلك فخفي لم تُوءَس النفس منه ، ووُكِل إلى مصادقة النظر فيه،وكان الأحرى به أن يتهم الانسان نظره ولا يخِفّ إلى ادعاء النقص فيما قد ثبّت الله أطنابه ، وأحصف بالحكمة

---

(١) سبق لابن جني أن أشار غير مرة إلى إيمانه بذكاء العرب وحكمتها ، ولقد رأينا - في النص الأول - أنه كان يؤيد الرأي ويقول به ، ولا دليل له عليه سوى كونه أدل على حكمة العرب وذكائها وأشهد لها على معرفتها بمصاير أمورها .

وهو يعتقد أن العرب أرادت من العلل أصلاً ما يعلل به العلماء فعلاً ، أو مايحملونه عليها من العلل ، وقد عقد لذلك باباً خاصاً عنوانه « باب في أن العرب قد أرادت من العلل والأغراض مانسبناه إليها وحملناه عليها » وهو في كتاب الخصائص ١ : ٢٣٧ وانظر رأي الخليل في هذا الموضوع في كتاب « الإيضاح في علل النحو » للزجاجي ص : ٦٦.

أسبابه .ولو لم يُتنبّه على ذلك إلاّ بما جاء عنهم من تسميتهم الأشياء بأصواتها ؛ كالخازباز [1] لصوته ، والبط لصوته ، . . . . . والواقِ للصُرَد لصوته ، وغاقِ للغراب لصوته ،وقوله « تداعين باسم الشِيْب » [2] لصوت مشافرها ، وقوله :

بينا نحن مُرْتِعون بفَلْج قالت الدُلَّحُ الرواءُ إنيهِ [3]

فهذا حكاية لرَزَمة السحاب وحنينِ الرعد ، وقوله :

كالبحر يدعو هيْقماً وهَيْقما [3]

وذلك لصوته. ونحو منه قولهم : حاحيت ، وعاعيت ، وهاهيت، إذا قلت : حاء ، وعاء ، وهاء [4] . وقولهم : بسملت ، وهيللت ، وحولقت ، كل ذلك وأشباهه إنما يرجع في اشتقاقه إلى الأصوات. والأمر أوسع .

---

(١) الخازباز : ذباب ، قال الجوهري : هما اسمان جعلا واحداً وبنيا على الكسر ، وعن الأصمعي أنه حكاية صوت الذباب .

(٢) الشيب : حكاية صوت مشافر الإبل عند الشرب . والأصل في قول ذي الرمة:

تداعين باسم الشيْب في متثلم جوانبه من بصرة وسلام

وانظر الديوان : ٦٠٩ .

(٣) مرتعون : أرتع القوم: نزلوا أو أقاموا للرعي . فَلْج : واد قرب البصرة . الدُلَّح : ج داحة وهي السحابة الكثيرة الماء . يقال : سحابة داوح ،والجمع دُلَّح . وإنيه : حكاية صوت رزَمة السحاب وحنين الرعد (الرَزمة صوت أخفّ من الحنين) وانظر الشاهد في الخصائص ١ : ٢٣ .

(٣) الهَيْقم : حكاية صوت البحر عند اضطرابه .

(٤) أصوات لزجر الحيوان .

ومن طريف ما مرّ بي في هذه اللغة التي لا يكاد يعلم بُعْدها ، ولا يحاط بقاصيها ، ازدحام الدال ، والتاء ، والطاء ، والراء ، واللام ، والنون ، إذا ما زجتهن الفاء على التقديم والتأخير ؛ فأكثر أحوالها ومجموع معانيها أنها للوهن والضعف ونحوهما .

من ذلك الدالِف للشيخ الضعيف ، والشيء التالف ، والطلِيف ، والظليف : المجّان ، وليست له عِصمة الثمين ، والطنَف : لما أشرف خارجاً عن البناء وهو إلى الضعف ، لأنه ليست له قوة الراكب الأساس والأصل ، والنَطف : العيب ، وهو الى الضعف ، والدَنف : المريض . ومنه : التنوفة ، وذلك لأن الفلاة إلى الهلاك ، ألا تراهم يقولون لها : مهلكة ، وكذلك قالوا لها : بيْداء ، فهي فعلاء من باد يبيد . ومنه التَرْفة [1] ، لأنها إلى اللين والضعف ، وعليه قالوا : الطرَف ، لأن طرف الشيء أضعف من قلبه وأوسطه ، قال الله سبحانه : « أو لمْ يروا أنّا نأتي الأرض ننقُصُها من أطرافِها [2] » وقال الطائي الكبير :

كانت هي الوسط المنوع فاستلبت
ما حولها الخيلُ حتى أصبحت طرفا

ومنه الفرْد ؛ لأن المنفرد إلى الضعف والهلاك ما هو ، قال رسول الله ﷺ : « المرء كثير باخيه » . والفارط : المتقدّم ، وإذا تقدم انفرد

(١) لبن العبش .
(٢) الرعد ١٣ : ٤١ .

وإذا انفرد أعرض للهلاك ، ولذلك ما يوصف بالتقدم ويمدح به لهول مقامه وتعرض راكبه . وقال محمد بن حبيب في الفرْتنى [1] الفاجرة إنها من الفُرات ، وحكم بزيادة النون والألف ، فهي على هذا كقولهم لها : هَلوك ، قال الهذليّ [2] :

السالك الثغرةِ اليقظانِ كالئِها
مشيَ الهَلُوك عليها الخيْعل الفُضُلُ

وقياس مذهب سيبويه أن تكون (فرْتنى) فعلْلى رباعية كجحْجبي . ومنه الفرات لأنه الماء العذب ، وإذا عذب الشيء ميل عليه ونيل منه ، ألا ترى إلى قوله :

مُمْقِرٌ مُرّ على أعدائه وعلى الأدنَين حلو كالعسل [3]

وقال الآخر :

تراهم يغمِزون من استركّوا ويجتنبون من صَدَق المِصاعا [4]

ومنه الفُتور للضعف ، والرَفت للكسر ، والرديف ، لأنه ليس له

---

(١) المرأة الفاجرة .

(٢) المتنخل يرثي ابنه . انظر ديوان الهذليين ٢ : ٣٤ والخزانة ٤ : ٢٨٨ .
الخيعل : ثوب يخاط من طرف واحد . والفضل : خيعل لاشيء تحته من إزار أو سروال . والمعنى أنه يحمي الثغور ويحفظها ماشيا فيها مشي الهلوك المتبخترة غير المبالية .

(٣) البيت للبيد . وأمقر الشيء صار كالمقر وهو الصبر ، وكذلك مقِر الشيء : إذا صار مرّاً . وانظر الصحاح (مادة : مقر) .

(٤) ركّ الشيء : ضعف . وقل : اقطعه من حيث ركّ . ولا تقل : من حيث رقّ . والركيك : الضعيف . واستركّ : استضعف . والمصاع والمناصعة : المحالدة بالسيوف .

تمكّن الأول . ومنه الطفل للصبي لضعفه، والطفْل للرخص ، وهو ضد الشثْن ، والتفَل للريح المكروهة ، فهي منبوذة مطروحة . وينبغي أن تكون الدفْلى من ذلك ؛ لضعفه عن صلابة النبع والسرّاء [1] والتنْضُب [2] ، والشوْحط [3] . وقالوا: الدّفر للنتْن، وقالوا للدنيا: أم دفْر ، سبّ لها وتوضيع منها . ومنه الفلتة ، لضعفَة الرأي ، وفتل المغزل لأنه تثن واستدارة ، وذاك إلى وهْيٍ وضعْفة ، والفطر: الشقّ ، وهو إلى الوهن .

الآن قد أنستك ، بمذهب القوم فيما هذه حاله ، ووقفتك على طريقه وأبديت لك عن مكنونه ، وبقي عليك أنت التنبه لأمثاله ، وإنعام الفحص عما هذه حاله ، فإنني إن زدت على هذا مللت وأملت . ولو شئت لكتبت من مثله أوراقاً مئين ، فأبَه له ولاطفه ، ولا تجفُ عليه فيعرض عنك ولا يبهأ بك .

---

(١) شجر تتخذ منه القسيّ .

(٢) التنْضب : شجر حجازي شائك .

(٣) الشوْحط : شجر تتخذ منه القسي . قيل هو النبع . وقيل ما كان في القُلّة فنبع ، وما كان في السفح فهو الشِرْيان ، وما كان في الحضيض فهو الشوْحط .

صاحب كتاب (المُزهِر في علوم اللغة)

هو عبد الرحمن بن أبي بكر ، جـــلال الدين السيوطي . ولد في القاهرة سنة ٨٤٩ هـ ، ونشأ يتيماً فحفظ القرآن ، وأخذ عن علماء عصره مدة ، ثم اعتزل الناس وعكف على المطالعة والتأليف . وكان من أشهر الذين أخذ عنهم شيخه الكافيجي [1] ؛ وقد قرأ عليـه التفسير والعربية والمعاني . وقيل إنه لازمه أربع عشر سنة .

ولم يقصر السيوطي عنايته على علم واحـد ، وإنما صرف همّـه إلى علوم كثيرة، كعلوم القرآن والتفسير، والحديث والفقه، واللغة والنحو والبلاغة ، والأدب ، والتاريخ ، وتراجم العلماء من حفّاظ ومفسّرين ونحاة ولغويين . وقـد تحدّث عن نفسه فقال : « رُزقت التبحّر في سبعة علوم : التفسير ، والحديث، والفقه، والنحو ، والمعاني ، والبيان والبديع ، على طريقة العرب البلغاء، لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة. ودون هذه السبعة : أصول الفقه ، والجدل ، والتصريف . ودونها : الإنشاء والترسّل ، والفرائض ، ودونها : القراآت ودونها : الطب .

(١) هو محي الدين محمد بن سليمان الكافيجي . من كبار العلماء في عصره . عرف بالكافيجي لكثرة اشتغاله بالكافية في النحو . ومات سنة ٨٧٩ هـ .

وأما علم الحساب فهو أعسر شيء عليّ . » وهو من الذين ترجموا لأنفسهم وتحدثوا عن حياتهم [1] .

قضى جلال الدين حياته في العلم والتأليف ، ومات سنة ٩١١ هـ مخلفاً لنا ثروة علمية ضخمة في فروع العلم المختلفة ، وقد عدّ في (حسن المحاضرة) ثلاثمائة كتاب من تأليفه . وذكر الذين ترجموا له أن مؤلفاته زادت على ذلك حتى وصلت عند بروكلمان إلى (٤١٥) مؤلّفاً ، وعند فلوجل إلى (٥١٦) مؤلّفاً ، وإلى (٦٠٠) مؤلّف عند ابن إياس .

وقد شكّ بعضهم في نسبة هـذا العدد الضخم من المؤلفات إلى السيوطي [2] ، ووصفه بعضهم بأنه جمّاعة يؤلف من كتب غيره وأن كتبه ليس له فيها إلا الجمع والترتيب .

والحق أن كثيراً من الكتب التي ألّفها ليست إلا رسائل صغيرة ، وأن له كتباً جيدة في بابها ، على الرغم من اعتماده فيها على كتب غيره ، كالإتقان في علوم القرآن ، والأشباه والنظائر ، والاقتراح في أصول النحو ، والمزهر في علوم اللغة ، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة

---

(١) حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ١ : ١٥٥ - ١٦١ (طبعة مصر سنة ١٣٢١) .

(٢) انظر ماقاله السخاوي في الضوء اللامع ٤ : ٦٥ .

ومن مؤلفات السيوطي :

آ – في القرآن :

١ – تفسير الجلالين : الجلال السيوطي ، وله فيه من أول سورة البقرة إلى آخر سورة الإسراء . وجلال الدين محمد بن أحمد المحلى ، وله فيه من أول سورة الكهف إلى آخر القرآن .

وهو مطبوع على هامش القرآن الكريم ، وبذيله كتاب لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي أيضاً .

٢ – الإتقان في علوم القرآن .

ب – في الحديث :

٣ – الجامع الصغير

جـ – في العربية :

٤ – الأشباه والنظائر

٥ – الاقتراح في أصول النحو

٦ – المزهر في علوم اللغة

٧ – همع الهوامع (شرح جمع الجوامع في العربية)

٨ – شرح شواهد المغني

٩ ـ عقود الجمان في المعاني والبيان

د ـ في التاريخ :

١٠ـ تاريخ الخلفاء

١١ـ حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة

هـ ـ في التراجم :

١٢ـ طبقات المفسّرين

١٣ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة .

وله كتب ورسائل أُخرى كثيرة انظرها في ترجمته .

كتاب (المزهر في علوم اللغة)

المزهر من أجمع كتب اللغة وأكثرها استيعاباً ، وهو على استيعابه حسن الترتيب . جيد التبويب . أراد السيوطي أن يحاكي فيه كتب الحديث وينسج على منوالها ، كما أراد أن يجمع فيه ما تفرّق في كتب المتقدّمين من علماء اللغة ، وقد صرّح بذلك في مقدمة كتابه فقال : « هذا علم شريف ابتكرت ترتيبه ، واخترعت تنويعه وتبويبه ، وذلك في علوم اللغة وأنواعها ، وشروط أدائها وسماعها ، حاكيت به علوم الحديث في التقاسيم والأنواع ، وأتيت فيه بعجائب وغرائب حسنة الإبداع . وقد كان كثير ممن تقدّم يلمّ بأشياء من ذلك ، ويعتني في بيانها بتمهيد المسالك ، غير أن هذا المجموع لم يسبقني إليه سابق ، ولا طرق سبيله قبلي طارق . وقد سمّيته بالمزهر في علوم اللغة » .

ونقل السيوطي ما صدّر به ابن فارس كتابه (الصاحبي في فقه اللغة) ومنه قوله : « والذي جمعناه في مؤلّفنا هذا مفرّق في أصناف كتب العلماء المتقدمين ، وإنما لنا فيه اختصار مبسوط ، أو بسط مختصر أو شرح مشكل ، أو جمع متفرّق » . ثم قال : « وبمثل قوله أقول في هذا الكتاب » .

ويتألف كتاب المزهر من خمسين باباً أو نوعاً :

ثمانية في اللغة من حيث الإسناد ، كمعرفة الصحيح والثابت ، والآحاد ، والمتواتر ، ومن تقبل روايته ومن تُردّ ....

وثلاثة عشر في اللغة من حيث الألفاظ ، كمعرفة الفصيح والمطّرد والشاذ ، والمهمل والمستعمل ...

وثلاثة عشر في اللغة من حيث المعنى ، كمعرفة خصائص اللغة ، والاشتقاق ، والمجاز ، والمشترك ، والمترادف .

وخمسة في اللغة من حيث اللطائف والمُلح ، كمعرفة الأمثال . وما ورد بوجهين ، والألغاز ..

وواحد في اللغة من حيث حفظها وضبطها ، وهو معرفة الأشباه والنظائر .

وثمانية في رجال اللغة ورواتها ، كمعرفة آداب اللغوي ، وطبقات الحفاظ والثقات ، ومعرفة الاسماء والكنى ، والألقاب والأنساب ...

وواحد في معرفة الشعر والشعراء .

وواحد في معرفة أغلاط العرب . وبه تتم الأبواب الخمسون .

والحق أن الكتاب يتصف بما قاله السيوطي عنه من جمع للمتفرّق، مع اختصار للمبسوط ، أو بسط للمختصر ، وجودة في الترتيب والتبويب .

مصادر ترجمة السيوطي

الكتاب	المؤلف	سنة وفاته	ج	ص
الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع	: السخاوي	٩٠٢	٤	٦٥
حسن المحاضرة	: السيوطي	٩١١	١	١٥٥
شذرات الذهب في أخبار من ذهب	: ابن العماد الحنبلي	١٠٨٩	٨	٥١

وتجد في نهاية الجزء الثاني من كتاب المزهر ترجمة وافية كتبها محققو الكتاب (٢ : ٦٥١) .

النص السادس [1]

المناسبة بين اللفظ ومدلوله

المسألة العاشرة [2] :

نقل أهل أصول الفقه عن عبّاد بن سليمان الصيْمريّ ، من المعتزلة،

---

(١) من كتاب المزهر ١ : ٤٧ .

(٢) المسألة العاشرة من مسائل النوع الأول ؛ وذلك أن السيوطي – كما ذكرنا لك عند التعريف بالكتاب – جعل كتابه في خمسين نوعاً ، وجعل النوع الأول ، وهو معرفة الصحيح الثابت ، في ست عشرة مسألة :

الأولى : في حدّ اللغة وتصريفها .

الثانية : في بيان واضع اللغة .

الثالثة : في بيان الحكمة الداعية إلى وضع اللغة .

الرابعة : في حدّ الوضع .

الخامسة : ماذا وضع الواضع ؟

السادسة : هل يجب أن يكون لكل معنى لفظ ؟

السابعة : ما الغرض من الوضع ؟

الثامنة : هل الألفاظ موضوعة بإزاء الصور الذهنية أو بإزاء الماهيات الخارجية ؟

التاسعة : لمَ يوضع اللفظ ؟

العاشرة : في المناسبة بين اللفظ ومدلوله .

الحادية عشرة : متى وضعت اللغة ؟

الثانية عشرة : في الطريق إلى معرفة اللغة .

الثالثة عشرة : هل تثبت اللغة بالقياس ؟

الرابعة عشرة : في سعة اللغة .

الخامسة عشرة : في عدة أبنية الكلام .

السادسة عشرة : في أول من صنف في جمع اللغة .

أنه ذهب إلى أن بين اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية حاملة للواضع على أن يضع، قال: وإلاّ لكان تخصيص الاسم المعيَّن بالمسمَّى المعيَّن ترجيحاً من غير مرجّح . وكان بعض من يرى رأيه يقول إنه يعرف مناسبة الألفاظ لمعانيها ، فسئل ما مُسمَّى (إذغاغ) ؟ وهو بالفارسية الحجر ، فقال : أجد فيه يُبساً شديداً ، وأراه الحجر .

وأنكر الجمهور هذه المقالة وقال : لو ثبت ما قاله لا هتدى كل إنسان إلى كل لغة، ولما صحَّ وضع اللفظ للضدَّين ، كالقَرْء : للطُهر والحيض، والجَون : للأبيض والأسود ، وأجابوا عن دليله بأن التخصيص بإرادة الواضع المختار ، خصوصاً إذا قلنا : الواضع هو الله تعالى ، فإن ذلك كتخصيصه وجود العالم بوقت دون وقت. وأما أهل اللغة والعربية فقد كادوا يُطبقون على ثبوت المناسبة بين الألفاظ والمعاني ، لكن الفرق بين مذهبهم ومذهب عباد أن عباداً يراها ذاتية موجبة ، بخلافهم . وهذا كما تقول المعتزلة بمراعاة الأصلح في أفعال الله تعالى وجوباً ، وأهل السنة لا يقولون بذلك مع قولهم إنه تعالى يفعل الأصلح، لكن فضلاً منه ومنّاً لا وجوباً . ولو شاء لم يفعله [1] .

مناسبة الألفاظ للمعاني :

وقد عقد ابن جنّي في الخصائص باباً لمناسبة الألفاظ للمعاني [2]،

---

(١) الجميع من سنة ومعتزلة يقرّون بوجود المناسبة بين اللفظ ومدلوله ، ولكن المعتزلة يرونها مناسبة موجبة، على حين يراها الجمهور موجودة من غير وجوب ، وهذا امتداد للخلاف المشهور فيما بينهم في فعل الأصلح .

(٢) يعني (باب إمساس الألفاظ أشباه المعاني) وقد تقدّم في ص: ٧٢

وقال : اعلم أن هذا موضع شريف لطيف ، وقد نبّه عليه الخليل وسيبويه ، وتلقته الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحته ، قال الخليل: كأنهم توهّموا في صوت الجندب استطالة ومدّاً ، فقالوا : صرّ . وفي صوت البازي تقطيعاً ، فقالوا: صرصر . وقال سيبويه في المصادر التي جاءت على الفعَلان : إنها تأتي للاضطراب والحركة ، نحو : النقَزان والغثيان ، فقابلوا بتوالي حركات الأمثال توالي حركات الأفعال .

قال ابن جني [1] : وقد وجدت أشياء كثيرة من هذا النمط ، من ذلك المصادر الرباعية المضعّفة تأتي للتكرير نحو: الزعزعة ، والقلقلة ، والصلصلة ، والقعقعة ، والجرجرة ، والقرقرة .

ووجدت أيضاً الفعَلى في المصادر والصفات إنما تأتي للسرعة نحو: البشَكى [2] والجمَزى [3] والولَقى [4] .

ومن ذلك باب استفعل ، جعلوه للطلب ؛ لما فيه من تقدّم حروف زائدة على الأصول ، كما يتقدم الطلبُ الفعلَ ، وجعلوا الأفعال الواقعة عن غير طلب إنما تفجأ حروفها الأصول،أو ما ضارع بالصيغة الأصول فالأصولُ نحو قولهم : طعِم ووهب ، ودخل وخرج ، وصعد ونزل ،

(١) لاحظ أن السيوطي لايتقيد بالنص الذي ينقل عنه ؛ فقد يغير فيه ، أو يحذف منه .

(٢) البَشَك : السرعة . وامرأة بشَكى اليدين أو العمل : سريعة .

(٣) حمار جَمزى : وثاب سريع .

(٤) الوَلَق : السير السريع السهل . والولقى : عدو فيه وثب .

على طلب لها ولا إعمال فيها ، وكذلك ما تقدمت الزيادة فيه على سمت الأصل ، نحو : أحسن ، وأكرم ، وأعطى ، وأولى ، فهذا من طريق الصيغة بوزن الأصل في نحو : دحرج وسرهف[1] .

وكذلك جعلوا تكرير العين نحو : فرّح وبشّر ، فجعلوا قوة اللفظ لقوة المعنى ، وخصّوا بذلك العين ، لأنها أقوى من الفاء واللام ؛ إذهي واسطة لها ومكنونة بها ، فصارا كأنهما سياج لها ، ومبذولان للعوارض دونها ، ولذلك تجد الإعلال بالحذف فيهما دونها .

فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع ، ونهج مُتلئبّ[2] عند عارفيه مأموم ، وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبّر بها عنها ، فيعدلونها بها ، ويحتذونها عليها ، وذلك أكثر مما نقدّره ، وأضعاف ما نستشعره . من ذلك قولهم : خضِم[3] وقضِم ، فالخضم لأكل الرّطب ، كالبطيخ والقِثاء وما كان من نحوها من المأكول الرطب ، والقضم لأكل اليابس نحو قضِمت الدابة شعيرها ، ونحو ذلك[4] وفي الخبر : قد يُدرك الخضم بالقضم . أي قد يدرك الرخاء بالشدة ، واللين بالشظف ، وعليه قول أبي الدرداء : يخضَمون ونقضَم والموعد الله . فاختاروا الخاء لرخاوتها

(١) سرهفت الصبيّ : أحسنت غذاءه .

(٢) ائتلأبّ الأمر : استقام . وائتلأب الطريق : امتدّ واستوى .

(٣) من باب فهم وضرب .

(٤) الخضم : أكل بجميع الفم ، والقضم دون ذلك .

للرَّطب ، والقاف لصلابتها لليابس ، حِـذْواً لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث . ومن ذلك قولهم النضح للماء ونحوه ، والنضخ أقوى منه ، قال الله سبحانـه : « فيهما عينان نضَّاختان » ، فجعلوا الحاء لرقتهـــا للماء الخفيف ، والخاء لغلظها لما هو أقوى منـه . ومن ذلك قولهم القدّ طولاً ، والقطّ عرضاً ، لأن الطاء أخفض للصوت وأسرع قطعاً له من الدال المستطيلة ، فجعلوا الطـاء المناجزة لقطع العرض ، لقربه وسرعته . والدال المماطلة لما طـــال من الأثر ، وهو قطعه طولا .

قال : وهذا الباب واسع جداً لا يمكن استقصاؤه .

قلت [1] : ومن أمثلة ذلك ما في الجمهرة : الخنن في الكلام أشد من الغَنن ، والخُنة أشد من الغُنة ، والأَنين أشد من الأنـين ، والرنين أشد من الحنين .

وفي الإبدال لابن السكيت يقال : القبصة أصغر من القبضة . قال في الجمهرة : القبص : الأخـــذ بأطراف الأنامل ، والقبض الأخذ بالكف كلها .

وفي الغريب المصنّف عن أبي عمرو : هذا صوغ هذا ، إذا كان على قدره ، وهذا سوْغ هذا ، إذا ولد بعد ذاك على أثره . ويقال : نَقَبَ على قومه ينقُب نِقَابة من النقيب وهو العريف ، ونَكَب عليهم يَنكُب نِكابة وهو المَنْكِب ، وهو عون العريف .

(١) يتابع السيوطي على عادته جمع الأمثلة المناسبة من المصادر المختلفة .

وقال الكسائي : القضم للفرس ، والخضم للانسان .

وقال غيره : القضم بأطراف الأسنان : والخضم بأقصى الأضراس.

وقال أبو عمرو : النضح بالضاد المعجمة : الشرب دون الرّي . والنصح بالصاد المهملة : الشرب حتى يروى . والنشح بالشين المعجمة دون النضح بالضاد المعجمة .

وقال الأصمعي من أصوات الخيل : الشخير والنخير ، والكرير ؛ فالأول من الفم، والثاني من المنخرين ، والثالث من الصدر .

وقال الأصمعي : الهتل من المطر أصغر من الهطل .

وفي الجمهرة : العطعطة بإهمال العين : تتابع الأصوات في الحرب وغيرها . والغطغطة بالإعجام : صوت غليان القدر وما أشبهه .

والجمجمة بالجيم : أن يخفي الرجل في صدره شيئاً ولا يبديه . والحمحمة بالحاء : أن يردد الفرس صوته ولا يصهل .

والدحداح بالدال : الرجل القصير .والرحراح بالراء : الإناء القصير الواسع .

والجفجفة بالجيم : هزير الموكب وحفيفه في السير . والحفحفة بالحاء : حفيف جناحي الطائر .

ورجل دحدح بفتح الدالين وإهمال الحاءين : قصير ، ورجل دُخدُخ بضم الدالين وإعجام الخاءين : قصير ضخم .

والجرجرة بالجيم : صوت جرع الماء في جوف الشارب . والخرخرة

بالخاء : صوت تردد النفس في الصدر ، وصوت جري الماء في مضيق . والدردرة : حكاية صوت الماء في بطون الأودية وغيرها إذا تدافع فسمعت له صوتاً . والغرغرة : صوت ترديد الماء في الحلق من غير مجٍّ ولا إساغة . والقرقرة : صوت الشراب في الحلق • والهرهرة : صوت ترديد الأسد زئيره .

والكهْكهة : صوت ترديد البعير هديره . والقهقهة : حكاية استغراب [1] الضحك .

والوعوعة : صوت نُباح الكلب إذا ردده . والوقوقة : اختلاط أصوات الطير . والوكوكة : هدير الحمام .

والزعزعة بالزاي : اضطراب الأشياء بالريح . والرعرعة بالراء : اضطراب الماء الصافي والشراب على وجه الأرض • والزغزغة بالزاي وإعجام الغين : اضطراب الانسان في خفة ونزق •

والكركرة بالكاف : الضحك .والقرقرة بالقاف: حكايةالضحك إذا استغرب الرجل فيه .

والرفرفة بالراء : صوت أجنحةالطائرإذاحام ولم يبرح . والزفزفة بالزاي : صوت حفيف الريحالشديدة الهبوب ، وسمعت زفزفةالموكب إذا سمعت هزيزه .

(١) استغرب الرجل في الضحك : إذا اشتدّ ضحكه وكثر .

والسغسغة بإهمال السين : تحريك الشيء من موضعه ليقلع، مثل الوتد وما أشبهه ، ومثل السن . والشغشغة بالإعجام : تحريك الشيء في موضعه ليتمكن ، يقال : شغشغ السّنان في الطعنة إذا حركه ليتمكن .

والوسوسة بالسين : حركة الشيء كالحلي . والوشوشة بالإعجام : حركة القوم وهمس بعضهم إلى بعض .

فانظر إلى بديع مناسبة الألفاظ لمعانيها ، وكيف فاوتت العرب في هذه الألفاظ المقترنة المتقاربة في المعاني ، فجعلت الحرف الأضعف فيها والألين والأخفى والأسهل والأهمس لما هو أدنى وأقل وأخف عملاً أو صوتاً ، وجعلت الحرف الأقوى والأشد والأظهر والأجهر لما هو أقوى عملاً وأعظم حساً ، ومن ذلك المدّ والمطّ ، فإن فعل المط أقوى لأنه مدّ وزيادة جذب ، فناسب الطاء التي هي أعلى من الدال .

قال ابن دريد : والمدّ والمتّ والمطّ متقاربة في المعنى . ومن ذلك الجُف بالجيم : وعاء الطلعة [1] إذا جفت ، والخُفّ بالخاء : الملبوس ، وخف البعير والنعامة ، ولا شك أن الثلاثة أقوى وأجلد من وعاء الطلعة فخصت بالخاء التي هي أعلى من الجيم .

وفي ديوان الأدب للفارابي : الشّازب : الضامر من الإبل وغيرها ، والشاصب : أشد ضمراً من الشازب . وفيه قال الأصمعي : ما كان من الرياح من نفخ فهو برد، وما كان من لفح فهو حر .

(١) الطّلْعة: واحدة الطّلْع وهو نوّر النخل مادام في الكافور . وكافور الطلعة وعاؤها ، سمّي بذلك لأنه كفرها أي غطّاها .

وفي فقه اللغة للثعالبي : إذا انحسر الشعر عن مُقدم الرأس فهو أجلح ، فإن بلغ الانحسار نصف رأسه فهو أجلى وأجله .

وفيه : النَّقش في الحائط ، والرقش في القرطاس . والوشم في اليد ، والوسم في الجلد ، والرَّشم على الحنطة والشعير . والوشي في الثوب ...

وفيه الحَوَص : ضيق العينين ، والحَوَص : غؤورهما مع الضيق .

وفيه : اللَّسب من العقرب ، واللسع من الحية .

وفيه : وسخ الأذن : أف ، ووسخ الأظفار : تُفّ .

وفيه : اللّثام : النقاب على حرف الشفة ، واللّفام : على طرف الأنف .

وفيه : الضرب بالرَّاحة على مُقدَّم الرأس : صقْع ، وعلى القفا : صفْع ، وعلى الخد ببسط الكف : لطْم ، وبقبْض الكف : لكم ، وبكلتا اليدين : لَدْم ، وعلى الجنب بالإصبع : وَخز ، وعلى الصدر والجنب : وَكز ولكْز ، وعلى الحنك والذقن : وهْز ولهْز .

وفيه يقال : خذفه بالحصى ، وحذفه بالعصا ، وقذفه بالحجر .

وفيه : إذا أخرجَ المكروبُ أو المريض صوتاً رقيقاً فهو الرنيّن ، فإن أخفاه فهو الهنين ، فإن أظهره فخرج خافياً فهو الحنين . فإن زاد فيه فهو الأنين ، فإن زاد في رفعه فهو الخنين .

فانظر إلى هذه الفروق وأشباهها باختلاف الحرف بحسب القوة والضعف ، وذلك في اللغة كثير جداً ، وفيما أوردناه كفاية .

النص السابع [1]

معرفة المطّرد والشاذ [2]

قال ابن جني في الخصائص [3] :

أصل مواضع (ط ر د) في كلامهم التتابع والاستمرار ، من ذلك طردْت الطريدة إذا اتبعتها واستمرت بين يديك ، ومنه مطاردة الفرسان بعضهم بعضاً ، ألا ترى أن هناك كرّاً وفرّاً ، فكل يطرد صاحبه،ومنه المِطرد : رمح قصير يطرد به الوحش . واطرد الجدول إذا تتابع ماؤه بالريح [4] ، ومنه بيت الأنصاري [5] :

أتعرف رسماً كاطّراد المذاهبِ [6]

---

(١) من كتاب المزهر ١ : ٢٢٦ .

(٢) معرفة المطّرد والشاذ : هي الباب أو النوع الثاني عشر من الأنواع الخمسين في كتاب المزهر . وهو واحد من الأنواع الثلاثة عشر التي ترجع إلى اللغة من حيث الألفاظ كما سبق أن ذكرنا عند التعريف بأبواب الكتاب (ص : ٩٧) .

(٣) في الخصائص ١ : ٩٦ باب القول على الاطراد والشذوذ .

(٤) عد إلى الخصائص فإن فيه زيادة أسقطها السيوطي .

(٥) هو قيس بن الخطيم ، جاهلي من شعراء المدينة ، أدرك الاسلام ولم يسلم .

(٦) تتمة البيت (لعمرةَ وحشاً غيرَ موقف راكب) . وهو مطلع قصيدة قالها قيس في حرب حاطب . وانظر ديوانه : ٣٣ والمُذْهب: المطليّ بالذهب، ويراد به جلد تتابعت فيه الخطوط . والبيت في اللسان (مادة : ذهب ، وطرد) وجاء بعده :المذاهب جلود . كانت تُذهب، واحدها : مُذهب ، تجعل فيه خطوط مذهبة يرى بعضها في إثر =

أي كتتابع المذاهب ، وهي جمع مُذهب .

وأما مواضع (ش ذ ذ) في كلامهم فهو التفرّق والتفرّد ، من ذلك قوله :

يتركن شُذّان [1] الحصى جوافلا

أي ما تطاير وتهافت منه . وشذّ الشيء يشُذ ويشِذ شذوذاً وشذّاً وأشذذته وشذذته أيضاً أشذه بالضم لا غير . وأباها الأصمعي [2] ، وقال: لا أعرف إلاّ شاذاً أي متفرّقاً ، وجمع شاذ شذّاذ ، قال :

كبعض من مرّ من الشُذّاذ

هذا أصل هذين الأصلين في اللغـــة ، ثم قيل ذلك في الكلام والأصوات على سمته وطريقه في غيرهما ، فجعل أهل علم العرب ما استمر من الكلام في الإعراب وغيره من مواضع الصناعة مُطّرداً ، وجعلوا ما فارق ما عليه بقية بابه وانفرد عن ذلك إلى غيره شاذّاً ، حملاً لهذين الموضعين على أحكام غيرهما .

أضرب الاطّراد :

قال : [3] ثم اعلم أن الكلام في الاطّراد والشذوذ على أربعة أضرب :

= بعض فكأنها متتابعة . ومعنى البيت كما شرحه الاستاذ محمود محمد شاكر (ابن سلام : ١٩٠ حاشية ٢) أن الشاعر « يستنكر ما أصاب الدار حتى أنكرها ، وبقيت رسومها بعد المطر والرياح ترى من بعيد كأنما يطرد بعضها في إثر بعض ، وأقفرت لولا موقف هذا الراكب الذي عاج عليها ، يعني نفسه » .

(١) شذّان الحصى : ماتطـــاير منه ، أو ماشذّ وتفرّق وانظر اللسان (مادة : شذذ) .

(٢) أي أنكر مجيئها متعدية .

(٣) أي ابن جني .

مطّـرِد في القياس والاستعمال جميعاً ، وهذا هو الغاية المطلوبـة ، وذلك نحو : قام زيد ، وضربت عمراً ، ومررت بسعيد .

ومطّـرد في القياس شاذّ في الاستعمال ، وذلك نحو الماضي من يذَر ويدَع ، وكذلك قولهم : مكان مُبقِـل ، هذا هو القياس ، والأكثر في السماع باقل ، والأول مسموع أيضاً ، حكاه أبو زيد في كتاب (حيلة ومحالة) ، وأنشد :

أعاشَني بعدكَ وادٍ مُبْقِـل [1]

ومما يقوى في القياس ، ويضعف في الاستعمال استعمال مفعول عسى اسماً صريحاً نحو قولك : عسى زيد قائماً أو قياماً ، هذا هو القياس ، غير أن السماع ورد بحظْـره والاقتصار على ترك استعمال الاسم ها هنا وذلك قولهم : عسى زيد أن يقوم ، « عسى اللهُ أنْ يأتيَ بالفتْـح » [2] وقد جاء عنهم شيء من الأول ، أنشدنا أبو علي :

(١) مانقله السيوطي هنا ناقص عما في كتاب الخصائص (١ : ٩٧) والنص هناك هو : « ... والأول مسموع أيضاً ؛ قال أبو داود لابنه داود : يابنيّ ما أعاشك بعدي ؟ فقال داود :

أعاشني بعدك وادٍ مبقل آكل من حَوْذانه وأنسل

وقد حكى أيضاً أبو زيد في كتاب (حيلة ومحالة) : مكان مبقل . ومما يقوّى على القياس ... » .

وقول داود مرويّ في اللسان (مادة : بقل) بنسبته الصحيحة ، ونسب (في مادة: نسل) سهواً إلى أبي ذؤيب . وبعده « ويروى : وأنسل . فمن رواه أنسل فمعناه : سمنت حتى سقط عني الشعر . ومن رواه : أنسل ، فمعناه : تنسل إبلي وغنمي » . والحَوذان : نبات .

(٢) في سورة المائدة ٥ : ٥٢ (فعسى الله أن يأتي بالفتح ..)

أكثرت في العذْل مُلحّاً دائما
لا تَعْذُلنْ إني عَسِيتُ صائما

ومنه المثل السائر : عسى الغُوَير أبؤساً [1] .

والثالث ـ المطّرد في الاستعمال الشاذ في القياس ، نحو قولهم : أخْوَصَ الرِّمْث [2] ، واستصوبت الأمر . أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن عن أحمد بن يحيى قال : يقال استصوبت الشيء ، ولا يقال استصبت . ومنه استحوذ ، وأغيلت المرأة [3] ، واستنوق الجمل ، واستتيست الشاة ، واستفْيَل الجمل . قال أبو النجم [4] :

يدير عيْني مُصْعَبٍ مُستفِيل [5]

والرابع ـ الشاذ في القياس والاستعمال جميعاً ، وهو كتتميم مفعول

---

(١) الغوير : تصغير الغار . ويروى أن أناساً دخلوا غاراً فانهار عليهم أو قتلهم فيه عدوّ لهم . فصار ذلك مثلاً لكل شيء يخاف أن يأتي منه شر . وانظر الصحاح (مادة : غور) .

(٢) الرمث بكسر الراء : نبات تأكله الإبل . ويقال : أخوص النخل إذا ظهر خوصه أي ورقه .

(٣) أغالت المرأة ولدها فهي مُغيل وأغيلت : إذا أرضعت ولدها الغيْل ، والغيل : اللبن الذي ترضعه المرأة وهي حامل .

(٤) أبو النجم هو الفضل بن قدامة العجلي ، من أشهر رجاز العرب وأحسنهم بديهة . مات سنة ١٣٠ هـ وانظر ترجمته في الأغاني ١٠ : ١٥٥ والشعر والشعراء : ٢٣٢ .

(٥) استفيل : صار كالفيل . والمصعب : غير المذلل . والراجز يصف هنا فحلاً من الإبل من أرجوزة مشهورة أولها : (الحمد لله الوهوب المجزل) . أنشدها لهشام بن عبد الملك . وقال ابن قتيبة إنها أجود أرجوزة للعرب .

مما عينه واو أو ياء، نحو ثوب مصْوون ومسك مدْووف [1] ، وحكى البغداديون : فرس مقْوود ، ورجل معوود من مرضه ، وكل ذلك شاذ في القياس والاستعمال ، فلايسوغ القياس عليه ولا ردّ غيره إليه .

قال : واعلم أن الشيء إذا اطرد في الاستعمال ، وشذ عن القياس فلا بدّ من اتباع السمع الوارد به فيه نفسه، لكنه لا يتخذ أصلاً يقاس عليه غيره ، ألا ترى أنك إذاسمعت (استحوذ) و (استصوب) أديتهما ولم تتجاوز ما ورد به السمع فيهما الى غيرهما ، فلا تقول في استقام الأمر مثلاً: استقوم، ولا في استساغ: استسوغ ، ولا في استباع: استبيع، ولا في أعاد: أعود لو لم تسمع شيئاً من ذلك قياساً على قولهم: أخوص الرّمث، فإن كان الشيء شاذاً في السماع مطرداً في القياس تحاميت ما تحامت العرب من ذلك ، وجريت في نظيره على الواجب في أمثاله .

ومن ذلك امتناعك من وذر ، وودع ، لأنهم لم يقولوهما ، ولا غرو عليك أن تستعمل نظيرهما : نحو وزن ووعد ، لو لم تسمعهما [2] .

ومن ذلك استعمال (أن) بعد كاد نحو قولك كاد زيد أن يقوم ، وهو قليل شاذ في الاستعمال ،وإن لم يكن قبيحاً ولا مأبيّاً في القياس.

ومن ذلك قول العرب : أقائم أخواك أم قاعدان ، هكذا كلامهم .

---

(١) دُفْت الشيء : بللته .ومسك مدوف أي مبلول ويقال مسحوق . قال الجوهري: « وليس يأتي مفعول من ذوات الثلاثة من بنات الواو بالتمام إلا حرفان : مسك مَدْووف وثوب مصوون ، فإن هذين جاءا نادرين » الصحاح (مادة : دوف).

(٢) ترك السيوطي هنا فقرات تجدها في الخصائص ١ : ١٠١ – ١٠٢ .

قال أبو عثمان [1] : والقياس موجب أن تقول: أقائم أخواك أم قاعد هما [2] ؟ إلاّ أن العرب لاتقوله إلا قاعدان ، فتصل الضمير [3] ، والقياس يوجب فصله ليعادل الجملة الأولى [4] .

أمثلة الشاذ

ذكر نبذ من الأمثلة الشاذة في القياس المطّردة في الاستعمال

قال الفارابي في ديوان الأدب : يقال : أحزنه يَحزُنه ، قال تعالى : « ولا يحْزُنْك » [5] ، وهذا شاذ ، وكان القياس يُحزِنه ، ولم يُسمع . ويقال : أحمّه الله من الحمّى ، فهو محموم ، وهو من الشواذ ، والقياس مُحمّ . وأجنّه الله من الجنون فهو مُجن [6] ، وهو من الشواذ .

قال : ومن الشواذ باب فَعِل يفعِل بكسر العين فيهما ، كورث وورِع ، ووبِق [7] ووثق ، ووفق [8] وورِم ، وورِم ، وورِي الزّند ، وولي

---

(١) هو بكر بن عثمان المازني ، أستاذ المبرد . مات سنة ٢٣٦ هـ وقيل بعد ذلك وتجد ترجمته في طبقات الزبيدي: ١٤٣ وإنباه الرواه ١ : ٢٤٦ .

(٢) لأن (قاعد) معطوف على (قائم) . و (قائم) وصف على وزن اسم الفاعل وقع مبتدأ وتقدّمه استفهام فأغنى فاعله المرفوع (أخواك)عن الخبر . وفاعله كما ترى اسم ظاهر ، وكذلك ينبغي ألا يكون مرفوع الاسم المعطوف عليه ضميراً مستتراً ، ومع ذلك قالوا (أم قاعدان) وضمير قاعدان مستتر فيها . وقد ردّ بعضهم على ذلك بأن جعل (أم) هنا منقطعة وقدّر : أم هما قاعدان .

(٣) يعني بالضمير المتصل هنا الضمير المستتر في قاعدان .

(٤) هنا ينتهي كلام ابن جني الذي ابتدأ السيوطي بنقله من أول النص ، على أنه لم ينقله كاملاً بل أسقط كثيراً منه . وهو في كتاب الخصائص ١ : ٩٦ – ١٠٠ .

(٥) « ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر » آل عمران ٣ : ١٧٦ « ولا يحزنك قولهم » يونس ١٠ : ٦٥ .

(٦) في الصحاح : جُنّ الرجل جنوناً ، وأجنه الله فهو مجنون . ولا تقل مُجنّ .

(٧) ووبِق يبِق بالكسر فيهما ، ووبِق يوبق ، ووبق يبِق : هلك .

(٨) يقال : وفقت أمرك تفِق ، بالكسر فيها أي صادفته موافقاً ، فهو من التوفيق .

ولاية، ويبس يبَس لغة في يبس يبِس. ويقال: أورس الشجر إذا اصفر ورقه فهو وارس: ولا يقال مُورِس [1] وهو من الشواذ.

ومن الشواذ أيضاً قولهم: القَوَد، والعوَر، والخَول [2]، والخور وقولهم: أحوجني الأمر، وأروح اللحم [3]، وأسود الرجل من سواد لون الولد، وأحوَز الإبل أي ساربها. وأعور الفارس إذا بدا فيه موضع خلل للضّرب وأحوش عليه الصيد إذا أنفره ليصيده. وأخوصت النخلة من الخوص. وأعوص بالخصم إذا لوى عليه أمره. وأفوق بالسهم لغة في أفاق [4]. وأشوكت النخلة من الشوك، وأنوكت الرجل إذا وجدته أنوك [5]. وأحول الغلام إذا أتى عليه حوْل. وأطولت في معنى أطلت. وأعول أي بكى ورفع صوته. وأقولتني ما لم أقل، وأعوَه القوم لغة في أعاه، أي أصاب ماشيتهم عاهة، وأخيلت السماء [6]، وأغيمت لغة في أغامت، وأغْيَل فلان ولدَه لغة في أغال.

---

(١) أورس: اصفر لونه، فهو وارس. ولا يقال مورس. وفي الصحاح أنه من النوادر.

(٢) خَول الرجل: حشمه، والواحد خائل. وقد يكون الخول واحداً، ويقع على العبد والأمة.

(٣) أي تغيرت رائحته، وكذلك يقال: أروح الماء.

(٤) من الفُوق وهو موضع الوتر من السهم.

(٥) النُوك: الحمق. قال قيس بن الخطيم:

وداء الجسم ملتمس شفاء ... وداء النوك ليس له دواء

يقال: رجل أنوك، وقوم نُوك ونُوكى.

(٦) الخال: الغيم، وقد أخالت السحاب وأخيلت وخايلت إذا كانت ترجى المطر. وتخيلت السماء إذا تغيمت وتهيأت للمطر.

وفي أمالي ثعلب: قال أبو عثمان المازني: قالت العرب: زهي الرجل وما أزهاه، وشُغل وما أشغله [1] وجُنّ وما أجنّه، [2]، هذا الضرب شاذ، وإنما يحفظ حفظاً.

وفي الصحاح للجوهري: تقول جئت مجيئاً حسناً، وهو شاذ، لأن المصدر من فعل يفعِل مفْعل بفتح العين، وقد شذت منه حروف، فجاءت على مفعِل كالمجيء والمحيض والمكيل والمصير.

وفيه: شنآن بالتحريك والتسكين، وقرىء بهما [3]، وهما شاذان؛ فالتحريك شاذ في المعنى، لأن فَعَلان إنما هو من بناء ما كان معناه الحركة والاضطراب، كالضربان والخفقان، والتسكين شاذ في اللفظ لأنه لم يجىء شيء من المصادر عليه [4]

وقال ابن السراج في الأصول: اعلم أنه ربما شذّ شيء من بابه، فينبغي أن تعلم أن القياس إذا اطرد في جميع الباب لم يكن بالحرف الذي يشذ منه وهذا مستعمل في جميع العلوم، ولو اعتُرض بالشاذ على القياس المطرد

(١) وفي الصحاح: وقد قالوا: ما أشغله، وهو شاذ لأنه لايتعجب مما لم يسمّ فاعله.

(٢) جاء في الصحاح: «وقولهم في الجنون: ما أجنه، شاذ لايقاس عليه؛ لأنه لايقال في المضروب: ما أضربه، ولا في المسلول: ما أسله».

(٣) الآية: «ولايجرمنكم شنآن قوم أن صدّوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا» المائدة ٥: ٢ وكذلك «ولايجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا» المائدة ٥: ٨ ويجرمنكم: يحملكم. والشنآن: البغض.

(٤) جاء في الصحاح (مادة: شنأ): «الشنآة: البغض. وقد شنأه شنئاً وشنئاً وشِنئاً ومشنئاً وشَنآناً بالتحريك وشَنْآناً بالتسكين، وقد قرىء بهما قوله تعالى (شنآن قوم)؛ وهما شاذان ...» وتتمة النص كما نقله السيوطي

لبطل أكثر الصناعات والعلوم ، فمتى سمعت حرفاً مخالفاً لا شك في خلافه لهذه الأصول فاعلم أنه شذّ ، فإن كان سُمع ممن تُرضى عربيته ، فلا بدّ من أن يكون قد حاول به مذهباً، أو نحا نحواً من الوجوه ، أو استهواه أمر غلطه .

قال : وليس البيت الشاذ والكلام المحفوظ بأدنى إسناد حجةً على الأصل المجمع عليه في كلام ، ولا نحو ، ولا فقه ، وإنما يركن إلى هذا ضعفة أهل النحو ومن لاحجة معه. وتأويل هذا وما أشبهه في الإعراب كتأويل ضعفة أصحاب الحديث وأتباع القصاص في الفقه .

وفيه : لا يقال هذا أبيض من هذا .وأجازه أهل الكوفة واحتجوا بقول الراجز :

جارية في درعها الفضفاض أبيض من أخت بني أباض[1]

قال المبرد : البيت الشاذ ليس بحجة على الأصل المجمع عليه .

---

(١) أبيض هنا للتفضيل عند الكوفيين . وهم يجيزون التعجب من البياض والسواد خاصة من بين سائر الألوان ؛ يقولون : ما أبيض ثوبك ، وما أسود شعره . ويمنع البصريون ذلك بحجة أن شواهد الكوفيين على ذلك شاذة ، والشاذ ليس بحجة على الأصل المجمع عليه كما يقول المبرد . وهم يرون أن (أبيض) في مثل شاهدنا المذكور أعلاه على وزن أفعل الذي مؤنثه فعلاء ، وليس (أفعل) التفضيل : فكأن الراجز قال : جارية في درعها الفضفاض جسد مبيض من بني أباض . وهذا كقولهم : أنت كريم من بني فلان. وكقول الشاعر :

وأبيض من ماء الحديد كأنه شهاب بدا والليل داجٍ عساكره

وانظر هذا الخلاف بين البصريين والكوفيين في المسألة: ١٦ من كتاب الإنصاف لابن الأنباري .وانظر الشاهد أيضاً في الخزانة ٣ : ٤٨١ .

فائدة ــ قال ابن خالويه[1] في شرح الفصيح : قال أبو حاتم : كان الأصمعي يقول أفصح اللغات ويلغي ما سواها ، وأبو زيد يجعل الشاذ والفصيح واحداً فيجيز كل شيء قيل .

قال : ومثال ذلك أن الأصمعي يقول : حزَنني الأمر يحزُنني ، ولا يقول أحزنني .

قال أبو حاتم : وهما جائزان، لأن القراء قرأوا : «لا يَحزُنهم الفزَع الأكبر[2] » و « لا يُحزِنهم » جميعاً بفتح الياء وضمها .

---

(١) هو الحسين بن احمد ، من أعلام اللغة والنحو في عصره، وممن كان يضمهم مجلس سيف الدولة في حلب . له كتاب (ليس في كلام العرب) و (إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم) .

(٢) سورة الأنبياء ٢١ : ١٠٣ .

النص الثامن [1]

معرفة خصائص اللغة [2]

اللغة العربية أفضل اللغات وأوسعها [3] :

(١) من كتاب المزهر ١ : ٣٢١ .

(٢) الباب أو النوع الثاني والعشرون . وهو أول الأنواع الثلاثة عشر التي ترجع إلى اللغة من حيث المعنى .

(٣) وفكرة هذا النص تعداد الخصائص التي تتصف بها اللغة العربية ، وهي خصائص كثيرة يذكرها السيوطي ويذكر ما قاله فيها العلماء من قبله ؛ واللغة العربية عندهم تتصف بكونها أفضل اللغات وأوسعها ، وبأن فيها مالا يمكن ترجمته إلى غيرهـــا ، وهي تختص بالإعراب ، وبالعروض ، كما تنفرد بالهمز في عرض الكلام ، وبحروف لا تشاركها بها سائر اللغات » .. الخ .

ويذكر السيوطي بعد ذلك جملة من سنن العرب في لغتهم ، مما تمتاز به ولا يوجد في غيرها من اللغات ، كمخالفة الظاهر ، والاستعارة ، والحذف والاختصار ، والزيادة ، والتكرير والإعادة ، وإضافة الفعل إلى غير فاعله الحقيقي ، والتعبير بالجمع عن الواحد ، والالتفات ، والتعبير عن الحاضر أو المستقبل بلفظ الماضي ، والتعبير عن المفعول بصيغة الفاعل ، والإضمار ، والتعويض ، والإشارة ، والكف ، والمحاذاة ...

والحق أن لكل لغة خصائص تتميز بها ، وأن التفاوت والتفاضل بين اللغات إنما يكون بما تمتاز به كل منها من خصائص . وإن ما تتصف به اللغة العربية من صفات ، وما تمتاز به من خصائص ، يجعلها في مقدمة اللغات الحيّة صلاحية للحياة والبقاء ، وللتعبير عن آفاق الفكر وانطلاقه وروائع العلم ومبتكراته . وإن علماء اللغة ، من قدماء ومحدثين ، قد أجمعوا على ذلك ، وإن كانت نظرة القدماء إلى العربية – كما ترى من خلال النص – نظرة إجلال وتقديس ، ونظرة المحدثين إليها نظرة تخضع لمقاييس العلم وموضوعيته أحكامه.

(انظر بحث خصائص العربية في كتاب فقه اللغة وخصائص العربية للاستاذ محمد المبارك. ص : ٢٢٥ وما بعدها . وفي كتاب دراسات في فقه اللغة للدكتور صبحي الصالح . ص ١٠٧ وما بعدها) .

من ذلك : أنها أفضل اللغات وأوسعها ، قال ابن فارس في فقه اللغة [1] : لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها ، قال تعالى : « وإنّه لتنزيلُ ربِّ العالمين ، نزَل بهِ الروحُ الأمينُ على قلبك لتكون من المنـــذرين بلسانٍ عربيٍّ مبين » [2] . فوصفه ــ سبحانه ــ بأبلغ ما يوصف به الكلام ، وهو البيان . وقال تعالى : « خلَق الإنسانَ علّمه البيان » [3] . فقدّم ــ سبحانه ــ ذكرَ البيان على جميع ما توحّد بخلقه ، وتفرد بإنشائه ، من شمس وقمر ، ونجم وشجر ، وغير ذلك من الخلائق المحكمة ، والنشايا المتقنة ، فلما خص ــ سبحانه ــ اللسان العربي بالبيان عُلم أن سائر اللغات قاصرة عنه وواقعة دونه .

فإن قال قائل فقد يقع البيان بغير اللسان العربي . لأن كل من أفهم بكلامه على شرط لغته فقد بين . قيل له : إن كنت تريد أن المتكلم بغير العربية قد يُعرب عن نفسه حتى يفهم السامع مراده ، فهذا أخس مراتب البيان ، لأن الأبكم قد يدل بإشارات وحركات له على أكثر مراده ، ثم لا يسمى متكلماً ، فضلاً عن أن يسمى بيّناً أو بليغاً [4] . وإن أردت

---

(١) وذلك في (باب القول في أن لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها) . الصاحبي : ١٢

(٢) سورة الشعراء ٢٦ : ١٦٢ ــ ١٩٥

(٣) سورة الرحمن ٥٥ : ٣ ــ ٤

(٤) للجاحظ كلام حلو مفصل على الفرق بين الإفهام والبيان وهو يذكر فيه أننا نفهم عن الطفل الرضيع وعن الحيوان أيضاً حين يصوّت معبراً عن حاجته إلى الطعام أو الشراب أو الراحة ... (انظر البيان والتبيين ١ : ١٦١ ــ ١٦٣) .

ان سائر اللغات تُبين إبانة اللغة العربية . فهذا غلط ، لأنا لو احتجنا إلى أن نعبّر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسية لما أمكننا ذلك إلاّ باسم واحد ، ونحن نذكر للسيف بالعربية صفات كثيرة ، وكذلك الأسد والفرس وغيرهما من الأشياء المسمّيات بالاسماء المترادفة .

فأين هذا من ذاك ؟ وأين لسائر اللغات من السَّعة ما للغة العرب؟ هذا ما لاخفاء به على ذي نُهية .

وقد قال بعض علمائنا حين ذكر ما للعرب من الاستعارة والتمثيل والقلب والتقديم والتأخير وغيرها من سنن العرب في القرآن ، فقال : وكذلك لا يقدر أحد من التراجم على أن ينقله إلى شيء من الألسنة ، كما نُقل الإنجيل عن السريانية إلى الحبشية والرومية ، وترجمت التوراة والزَّبور ، وسائر كتب الله عز وجلّ بالعربية ، لأن غير العرب لم تتسع في المجاز اتساع العرب ، ألا ترى أنك لو أردت أن تنقل قوله تعالى : « وإما تخافنَّ من قوم خيانةً فانبذ إليهم على سواء »[1] . لم تستطع أن تأتي لهذه بألفاظ مؤدية عن المعنى الذي أُودِعَتْه حتى تبسط مجموعها ، وتصل مقطوعها ، وتظهر مستورها ، فتقول : إن كان بينك وبين قوم هُدنة وعهد ، فخفت منهم خيانة ونقضاً ، فأعلمهم أنك قد نقضت ما شرطته لهم ، وآذنهم بالحرب ، لتكون أنت وهم في العلم

---

(١) سورة الأنفال ٨ : ٥٨ .

بالنقض على الاستواء، وكذلك قوله تعالى : « فضَرَبْنا على آذانِهم في الكهْفِ »[1] .

وقد تأتي الشعراء بالكلام الذي لو أراد مريد نقله لاعتاص ، وما أمكن إلاّ ببسوطٍ من القول وكثير من اللفظ ، ولو أراد أن يعبر عن قول امرىء القيس :

فدع عنك نهباً صيح في حجَراته[2]

بالعربيه فضلاً عن غيرها لطال عليه . وكذا قول القائل :

والظنّ على الكاذب[3] . ونجارها نارها[4] . وعيّ بالإسناف[5] ..وهو كثير بمثله طالت لغة العرب دون اللغات، ولو أراد معبّر بالأعجمية أن يعبر عن الغنيمة والإخفاق، واليقين، والشك، والظاهر ، والباطن، والحق ،

---

(١) تتمة الآية « سنين عدداً » الكهف ١٨ : ١١

(٢) لامرىء القيس في ذم خالد بن سدوس وتتمته :

ولكن حديثـاً ما حديث الرواحل ؟ .

وهو في الديوان : ٩٤ والمغني ١ : ١٦١ وشرح شواهده ١ : ٤٤٠

(٣) تمامه : أنا ابن زيابة إن تدعني آتك والظن على الكاذب

وهو للحارث بن همام الشيباني كما في الحماسة .

(٤) النار : السّمة : يقولون : إذا رأيت نارها عرفت نجارها . وهو مثل يضرب لما يدلّ ظاهره على باطنه .

(٥) مثَل يقال لمن تحيّر في أمره (أمثال الميداني : ٤٢٥) . وقيل معناه: دهش من الفزع. وفي اللسان لعمرو بن كلثوم :

إذا ما عيّ بالإسناف حيّ على الأمر المشبه أن يكونا

والإسناف : التقدّم . وانظر اللسان (مادة سنف)

والباطل، والمبين، والمشكل، والاعتزاز، والاستسلام، لعيّ به، والله تعالى أعلم حيث يجعل الفضل .

ومما اختصت به العرب بعد الذي تقدم ذكره : قلبهم الحروف عن جهاتها ، ليكون الثاني أخف من الأول ، نحو قولهم: ميعاد ، ولم يقولوا موعاد ، وهما من الوعد ، إلاّ أن اللفظ الثاني أخف .

ومن ذلك : تركهم الجمع بين الساكنين ، وقد يجتمع في لغة العجم ثلاثة سواكن ، ومنه قولهم : يا حار . ميلاً إلى التخفيف .

ومنه : اختلاسهم الحركات في مثل :

فاليومَ أشربْ غيرمستحقِبٍ [1]

ومنه الإدغام وتخفيف الكلمة بالحذف، نحو: لم يلك ، ولم أبَل [2]

ومن ذلك إضمارهم الأفعال نحو : امرأً اتقى الله ، وأمرَ مبكياتك لا أمر مضحكاتك [3]

---

(١) من بيت لامرىء القيس . وتتمته : إثماً من الله ولا واغلِ . والمستحقب : المحتمل . والواغل : من يدخل على القوم فيشرب معهم من غير أن يدعى. وانظر الديوان: ٢٥٨ والصحاح (مادة : وغل) .

(٢) قال الجوهري : وإذا قالوا: لم أبل ، حذفوا تخفيفاً لكثرة الاستعمال ، كما حذفوا الياء من قولهم : لا أدر . وكذلك يفعلون في المصدر فيقولون : ما أباليه بالة ، والأصل بالية مثل : عافاه عافية ، وحذفوا الياء منها بناء على قولهم : أبل . وفي اللسان عن ابن بري قال : لم تحذف الألف من قولهم لم أبل تخفيفاً ، وإنما حذفت لا لتقاء الساكنين وعن ابن سيده قال : قال سيبويه : سألت الخليل عن قولهم لم أبل ، فقال : هي من باليت ولكنهم لما أسكنوا اللام حذفوا الألف لئلا يلتقي ساكنان ... (وانظر اللسان . مادة : بلا) .

(٣) وهم يقدّرون في المثال الأول . رحم الله امرأ ... ، وفي المثال الثاني : الزم ، أو الزمي لأنه في الأصل من خطاب أب لابنته . وانظره في أمثال الميداني : ٢٩

بعض ما لا يمكن نقله :

ومما لا يمكن نقله البتة أوصاف السيف ، والأسد ، والرمح ، وغير ذلك من الاسماء المترادفة . ومعلوم أن العجم لا تعرف للأسد اسماء غير واحد ، فأما نحن فنخرج له خمسين ومائة اسم .

وحدثني أحمد بن محمد بن بندار قال : سمعت أبا عبد الله بن خالويه الهمذاني يقول : جمعت للأسد خمسمائة اسم ، وللحيّة مائتين [1] .

قلت : ونظير ذلك ما في فقه اللغة للثعالبي : قد جمع حمزة بن حسن الأصبهاني من اسماء الدواهي ما يزيد على أربعمائة ، وذكر أن تكاثر اسماء الدواهي من الدواهي .

قال : ومن العجائب أن أمة وسمت معنى واحداً بمئين من الألفاظ .

ثم قال ابن فارس [2] : وأخبرني علي بن أحمد بن الصبّاح قال : حدثنا أبو بكر بن دريد قال : حدثنا ابن أخي الأصمعي عنه عمه أن الرشيد سأله عن شعر لابن حزام العُكلي ، ففسره فقال : يا أصمعي إن الغريب عندك لغير غريب . قال يا أمير المؤمنين ، ألا أكون كذلك وقد حفظت للحجر سبعين اسما ؟

قال ابن فارس : فأين لسائر الأمم ما للعرب ؟ ومن ذا يمكنه أن

---

(١) هنا ينتهي كلام ابن فارس .

(٢) الصاحبي ص : ١٥

يعبّر عن قولهم : ذات الزُّمين [1] ، وكثرة ذات اليد ، ويد الدهر ، وتخاوصت [2] النجوم ، ومجّت الشمس ريقها ، ودرأ الفيء ، ومفاصل القول ، وأتى بالأمر من فصّه ، وهو رحب العطَن [3] ، وغمْر الرداء [4] ، ويخْلق ويفري ، وهو ضيّق المجمّ [5] ، قلق الوضين [6] ، رابط الجأش ، وهو ألوى [7] ، بعيد المُستمر [8] ، وهو شرّاب بأنقُع [9] ، وهو جُذَيلها المحكّك [10] ، وعُذَيقها المرجّب [11] ، وما أشبه هذا من بارع

---

(١) لقيته ذات الزُّمَين : تريد بذلك تراخي الوقت . وكذلك يقال : لقيته ذات العُويم أي بين الأعوام .

(٢) تخاوصت النجوم : صغرت للغروب ، وهو مجاز .

(٣) العطن واحد الأعطان وهي مَبارك الإبل . ويريدون برحب العطن : رحب الذراع .

(٤) أي أنه جواد سخيّ

(٥) المجمّ : مستقرّ الماء . وفلان ضيق المجمّ . ضيق الصدر . وفي اللسان (مادة : جم) :

وقفنا فقلناها السلام عليكمُ فأنكرها ضيْق المجمّ غيور

(٦) وضن الشيء : نسجه فهو وضين وموضون . والوضين للهودج كالحزام للسرج . قَلِق الوضين : سريع الحركة .

وفي اللسان عن الطبراني أن الرسول صلى الله عليه وسلم أفاض من عرفات وهو يقول : إليك تعدو قلقاً وضينها .

(٧) الألوى : الشديد الخصومة ، الجدل السليط ، وهي لِيّاء ، وهم ألُوُون ، وهنّ لِيّاوات . ألوى بالكلام : خالف به عن وجهه .

(٨) شديد الخصومة .

(٩) مثَل يقال لمن عرف الأمور وجربها . والنَقع : الماء المستنقع ، فكأنه عارف بمواقع الماء .

(١٠) الجُذَيل والجِذال عود ينصب للإبل الجربى تحك به .

(١١) العَذق : النخلة وتصغيرها عُذيق . والترجيب دعم النخلة بالرُجْبة .

كلامهم ، ومن الإيماء اللطيف ، والإشارة الدالّة .

وما في كتاب الله تعالى من الخطاب العالي أكثر وأكثر ، كقوله تعالى : « ولكُم في القِصاص حياة [1] » . و « يحسبون كلّ صيحةٍ عليهم » [2] . « وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها » [3] . و « إن يتّبعون إلا الظنَّ ، وإنّ الظنّ لا يُغني مِنَ الحقِ شيئاً » [4] . و « ولا يحيقُ المكرُ السيءإلاّ بأهلِه » [5] .وهوأكثرمن أن نأتي عليه.

وللعرب بعد ذلك كلم تلوح في أثناء كلامهم كالمصابيح في الدجى ، كقولهم للجموع للخير : قَثوم [6] وهذا أمر قاتم الأعماق [7] ، أسود النواحي .واقتحف [8] الشراب كله . وفي هذا الأمر مصاعب وقُحم. وامرأة حيية قدِعة [9] ، وقد تقادعوا [10] تقادع الفراش في النار . وله قدم صدق . وذا أمر أنت أدرته ودبرته . وتقاذفت بنا النوى .

---

(١) البقرة ٢ : ١٧٩

(٢) المنافقون ٦٣ : ٤

(٣) الفتح ٤٨ : ٢١

(٤) النجم ٥٣ : ٢٨

(٥) فاطر ٣٥ : ٤٣

(٦) قثمَ له من المال : إذا أعطاه . ورجل قُثم : مِعطاء . والقَثم والقَثوم : الجموع للخير .

(٧) قاتم الأعماق : مغبر النواحي . والقَتمة : ميلان اللون إلى السواد .

(٨) الاقتحاف : الشرب الشديد

(٩) كثيرة الحياء قليلة الكلام

(١٠) التقادع : التتابع والتهافت في الشيء كأن كل واحد يدفع صاحبه أن يسبقه.

واشتفّ الشراب [1] . ولك قُرْعة هذا الأمر : خياره . وما دخلت لفلان قريعة بيت [2] . وهو يبهر القرينة ، إذا جاذبته . وهم على قرْوٍ واحد : أي طريقة واحدة . وهؤلاء قرابين [3] الملك . وهو قشْع : إذا لم يثبت على أمر . وقشبه بقبيح : لطخه . وصبيّ قصيع لايكاد يشبّ . وأقبلت مقاصر الظلام [4] . وقطّع الفرس الخيلَ تقطيعاً : إذا خلّفها . وليل أقعس : لا يكاد يبرح . وهو منزول قفر .

وهذه كلمات من قدحة واحدة ، فكيف إذا جال الطّرف في سائر الحروف مجاله . ولو تقصينا ذلك لجاوزنا الغرض ، ولما حوته أجلاد وأجلاد . هذا ما ذكره ابن فارس في هذا الباب .

الإعراب :

وقال [5] في موضع آخر : باب ذكر ما اختصت به العرب :

من العلوم الجليلة التي اختصت بها الإعراب الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ ، وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام ، ولولاه ما ميّز فاعل من مفعول ، ولا مضاف من منعوت ، ولاتعجب

(١) اشتفّ الشراب وشفه واستشفّه : تقصّى شربه

(٢) قريعة البيت : خير موضع فيه . وما دخلت له قريعة بيت : أي سقف بيت .

(٣) جلساؤه وخاصته ، والواحد قربان

(٤) قصر الظلام : اختلاطه . والمقصر والمقصِرة : العشيّ ، والجمع : مقاصر . ومنه : قصرنا وأقصرنا أي دخلنا العشي .

(٥) يعني ابن فارس . وذلك في كتابه الصاحبي ص : ٤٢

من استفهام ، ولا صدر من مصدر ، ولا نعت من تأكيد . وزعم ناس يتوقف عن قبول أخبارهم أن الفلاسفة قد كان لهم إعراب ومؤلفات نحو ، وهو كلام لا يُعرَّج على مثله ، وإنما تشبه القوم آنفاً بأهل الاسلام فأخذوا من كتب علمائنا ، وغيروا بعض ألفاظها ، ونسبوا ذلك إلى قوم ذوي اسماء منكرة ، بتراجم بشعة ، لا يكاد لسان ذي دين ينطق بها ، وادعوا مع ذلك أن للقوم شعراً ، وقد قرأناه فوجدناه قليل المآثر والحلاوة [1] ، غير مستقيم الوزن . بلى الشعر شعر العرب ، وديوانهم وحافظ مآثرهم ، ومقيّد حسابهم .

العروض :

ثم للعرب العروض التي هي ميزان الشعر ، وبها يعرف صحيحه من سقيمه ، ومن عرف دقائقه وأسراره وخفاياه علم أنه يُربي على جميع ما يحتج به هؤلاء الذين ينتحلون معرفة حقائق الأشياء من الأعداد والخطوط والنقط التي لا أعرف لها فائدة ، غير أنها مع قلة فائدتها تُرقّ الدين ، وتنتج كل ما نعوذ بالله منه . هذا كلام ابن فارس .

حفظ الأنساب :

ثم قال : وللعرب حفظ الأنساب . ما يُعلم أحد من الأمم عني بحفظ النسب عناية العرب . قال الله تعالى : « يأيها الناسُ إنّا خلقناكم من

---

(١) الذي في الصاحبي قوله : قليل الماء ، نزر الحلاوة .

ذكرٍ وأنثى وجعلنا كم شعوباً وقبائلَ لتعارفوا »[1] . فهي آية ما عمل بمضمونها غيرهم[2] .

الهمز في عرض الكلام :

فصل ـ قال ابن فارس[3] ، انفردت العرب بالهمز في عُرض الكلام مثل : قرأ ، ولا يكون في شيء من اللغات إلاّ ابتداء .

بعض الحروف التي اختصت بها والعرب :

قال : ومما اختصت به لغة العرب الحاء ، الطاء ، وزعم قوم أن الضاد مقصورة على العرب دون سائر الأمم .

وقال أبو عبيدة : قد انفردت العرب بالألف واللام التي للتعريف كقولنا : الرجل والفرس ، فليستا في شيء من لغات الأمم غير العرب انتهى[4] .

فصل :

وقال ابن فارس في فقه اللغة في موضع آخر[5] : باب الخطاب الذي يقع به الإفهام من القائل ، والفهم من السامع :

(١) الحجرات ٤٩ : ١٣

(٢) هنا ينتهي كلام ابن فارس المتعلق بذكر ما اختصت به العرب (الصاحبي: ٤٣) وأنت ترى أن السيوطي يجمع هنا بين ما اختص به العرب وما اختصّت به لغتهم .

(٣) وذلك في باب الحروف من كتابه الصاحبي ص : ٧١

(٤) أي كلام ابن فارس

(٥) الصاحبي ص : ١٦١ وفي نص الصاحبي زيادات لم ينقلها السيوطي .

يقع ذلك من المتخاطبين من وجهين : أحدهما الإعراب ، والآخر التصريف . فأما الإعراب فبه تُميَّز المعاني، ويوقف على أغراض المتكلمين، وذلك أن قائلاً لو قال : ما أحسنْ زيدْ ، غير مُعرب ، لم يوقف على مراده ، فإذا قال: ما أحسنَ زيداً ، أو ما أحسنُ زيدٍ ؟ أو ما أحسنَ زيدٌ ، أبان بالإعراب عن المعنى الذي أراده . وللعرب في ذلك ما ليس لغيرهم ؛ فهم يفرّقون بالحركات وغيرها بين المعاني ، يقولون : مِفتح ، للآلة التي يُفتح بها ، ومَفتح لموضع الفتح ، ومِقص ، لآلة القصّ ، ومَقص ، للموضع الذي يكون فيه القصّ ، ومِحْلب، للقدَح يحلب فيه ومَحْلب ، للمكان يُحتلب فيه ذوات اللبن . ويقولون : امرأة طاهر من الحيض ، لأن الرجل لا يشركها في الحيض ، وطاهرة من العيوب لأن الرجل يشركها في هذه الطهارة . وكذلك قاعد من الحبَل ، وقاعدة من القعود . ويقولون : هذا غلاماً أحسنُ منه رجلاً ، يريدون الحال في شخص واحد . ويقولون : هذا غلامٌ أحسنُ منه رجلٌ ، فهما إذن شخصان . ويقولون : كم رجلاً رأيت ؟ في الاستخبار ، وكم رجلٍ رأيت ، في الخبر يراد به التكثير . وهن حواجُّ بيتِ الله ، إذا كنّ قد حججن ، وحواجُّ بيتَ الله ، إذا أردن الحج . ويقولون[1] : جاء الشتاءُ والحطبَ ، إذا لم يُرد أن الحطب جاء ، إنما أريد الحاجة إليه . فإن أريد مجيئهما قال : والحطبُ .

(١) في الصاحبي : ومن ذلك : (جاء الشتاء ... إنما أراد الحاجة ... فإن أراد مجيئهما قال ..) وهو أولى مما في المزهر .

التصريف :

وأما التصريف فإن من فاته علمه فاته المعظم ، لأنا نقول : وجد، وهي كلمة مبهمة ، فإذا صرّفت أفصحت ، فقلت في المال : وُجدا ، وفي الضالة : وِجدانا ، وفي الغضب : موجدة ، وفي الحزن : وَجْدا . ويقال القاسط للجائر ، والمقسِط للعادل[1] ، فتحول المعنى بالتصريف من الجور إلى العدل . ويقولون للطريقة في الرمل : خِبّة . وللأرض بين المخصبة والمجدبة خُبّة . ونقول في الأرض السهلة الخوّارة : خارت تخور خوراً وخُؤورا ، وفي الانسان إذا ضعف : خار خَوَراً ، وفي الثور : خار خُوَارا . وللمرأة الضخمة : ضِناك ، وللزُكمة : ضُناك. ويقولون للإبل التي ذهبت ألبانها : شوْل ، وهي جمع شائلة ، وللتي شالت أذنابها للنحّ : شُوَّل ، وهي جمع شائل ، ولبقية الماء في الحوض : شوْل . ويقولون للعاشق : عميد ، وللبعير المتأكل السَّنام : عمِد . إلى غير ذلك من الكلام الذي لا يحصى[2] .

نظم للعرب لايقوله غيرهم:

فصل ــ وقال ابن فارس في موضع آخر[3] : باب نظم للعرب لا يقوله غيرهم :

يقولون : عاد فلان شيخاً ، وهو لم يكن شيخاً قط . وعاد الماء

(١) يستشهد ابن فارس على ذلك بآيات قرآنية لاينقلها السيوطي .

(٢) هنا ينتهي باب الخطاب في كتاب الصاحبي .

(٣) وذلك في كتابه الصاحبي . ص : ٢٢٣ .

آجناً [1] وهو لم يكن آجناً فيعود . قال تعالى : « حتى عاد كالعُرجون القديم » [2] فقال : عاد ، ولم يكن عرجوناً قبل . وقال تعالى حكاية عن شعيب عليه السلام : « قد افترينا على الله كذباً إن عُدْنا في ملتكم » [3] ولم يكن في ملتهم قط . ومثله « يُردُّ إلى أرذلِ العُمُر » [4] وهو لم يكن في ذلك قط . و« يُخرجونهم من النورِ إلى الظُّلُمات » [5] وهم لم يكونوا في نور قط .

مخالفة الظاهر :

فصل ــ في جملة من سنن العرب التي لا توجد في غير لغتهم :

قال ابن فارس [6] : فمن سنن العرب مخالفة ظاهر اللفظ معناه . كقولهم عند المدح : قاتله الله ما أشعره ، فهم يقولون هذا ، ولا يريدون وقوعه . وكذا : هوت أمه ، وهبلته [7] ، وثكلته ، وهذا يكون عند التعجب من إصابة الرجل في رميه ، أو في فعل يفعله .

(١) أجن الماء فهو آجن : أي تغير لونه وطعمه .

(٢) الآية « والقمر قدرناه منازل حتى عاد ... » يس ٣٦ : ٣٩ والعرجون : العِذق أو عود النخل إذا يبس واعوج . وقيل : هو أصل العذق بعد أن تقطع منه الشماريخ .

(٣) تتمة الآية « بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا » الأعراف ٧ : ٨٩ .

(٤) الآية « والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يُرد ... » النحل ١٦ : ٧٠ وكذلك : الحج ٢٢ : ٥ .

(٥) الآية « والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم ... » البقرة ٢ : ٢٥٧

(٦) وذلك في (باب سنن العرب في حقائق الكلام والمجاز) . الصاحبي ص : ١٦٧ . وفي النص شواهد يفصلها السيوطي .

(٧) هبلت المرأة ولدها هَبَلاً : ثكلته ، فهي هبول أو ثكول .

الاستعارة :

قال [1] : ومن سنن العرب : الاستعارة وهي أن يضعوا الكلمة للشيء مستعارة من موضع آخر ، فيقولون : انشقّت عصاهم ، إذا تفرقوا . وكشفت عن ساقها الحرب . ويقولون للبليد : هو حمار [2].

الحذف والاختصار :

قال [3]: ومن سنن العرب الحذف والاختصار ، يقولون : والله أفعلُ ذاك ، يريد لا أفعل . وأتانا عند مغيب الشمس ، أو حين أرادت ، أو حين كادت تغرُب . قال ذو الرمة :

فلما لبسن الليل أو حين نصّبت

له من خذا آذانها وهو جانح [4]

الزيادة :

قال [5]: ومن سنن العرب الزيادة ، إما للاسماء أو الأفعال أو الحروف

---

(١) وذلك في باب الاستعارة . الصاحبي ص : ١٧٣ .

(٢) والذي في الصاحبي قوله : (وفي كتاب الله جل ثناؤه « كأنهم حمر مستنفرة » يقولون للرجل المذموم : إنما هو حمار . وقال الشاعر :

دفعت إلى شيخ بجنب فِنائه هو العير إلا أنه يتكلم) الصاحبي : ١٧٤

(٣) في باب الحذف والاختصار . الصاحبي ص ١٧٥ .

(٤) البيت في ديوان ذي الرمة ص : ١٠٨ . والحديث فيه عن الأتن . لبسن الليل : أدلجن فيه . وخذيت الأذن : استرخت .

والسيوطي هنا لم ينقل باب الحذف والاختصار كما هو في الصاحبي وإنما اجتزأ بفقرة منه .

(٥) باب الزيادة في الصاحبي : ص : ١٧٥ . والنص فيه أكثر تفصيلا وتمثيلا .

نحو: « ويبقى وجهُ ربِّك [1] » أي ربك . « ليس كمثلِه شيء » [2] « وشهدَ شاهدٌ من بني إسرائيلَ على مثله » [3] أي عليه .

قال [4] : ومن سنن العرب الزيادة في حروف الاسم ، إما للمبالغة ، وإما للتسوئة [5] والتقبيح، نحو : رعشَن: للذي يرتعش ، وزرقُم: للشديد الزّرق [6] ، وشدقم: للواسع الشدق، وصلدِم: للناقة الصُّلبة ، والأصل صلد، ومنه : كُبّار، وطُوّال، وطرماح: للمفرط الطول، وسمْعنّة نظرنّة : للكثيرة التسمع والتنظر .

ومن سننهم [7] الزيادة في حروف الفعل مبالغة . يقولون : حلا الشيء ، فإذا انتهى قالوا: احلولى . ويقولون : اقلولى [8] ، واثنونى [9] .

قال [10] : ومن سنن العرب : التكرير والإعادة ، إرادةَ الإبلاغ

---

(١) تتمه الآية « ذو الجلال والإكرام » . الرحمن ٥٥ : ٢٧ .

(٢) الشورى ٤٢ : ١١ .

(٣) الأحقاف ٤٦ : ١٠ .

(٤) في (باب في زيادات الاسماء)الصاحبي ص : ٧٠ وانظر كيف يجمع السيوطي في باب واحد ماتفرّق عند غيره في أبواب .

(٥) في الصاحبي : للتشويه .

(٦) الزرَق : الزُرقة ، والعَمَى ، وبه فسر بعضهم قوله تعالى . « ونحشر المجرمين يومئذ زُرقا » طه ٢٠ : ١٠٢ . والزرقم : الأزرق الشديد ، للرجل والمرأة .

(٧) باب الزيادة في حروف الفعل للمبالغة . الصاحبي . ص : ٢٢١ .

(٨) اقلولى : ارتفع ، والمُقْلولي : المتجافي .

(٩) انثنى أو انحنى . ووزنها افعوعل .

(١٠) باب التكرار في الصاحبي . ص : ١٧٧ .

بحسب العناية بالأمر ، قال الحارث بن عباد [1] .

قرِّبا مربطَ النَّعامـــة منّي لقِحت حرب وائل عن حِيال [2]

فكرر قوله : (قرّبا مربط النعامة مني) في رؤوس أبيات كثيرة ، عناية بالأمر ، وإرادة الإبلاغ في التنبيه والتحذير .

قال [3] : ومن سنن العرب إضافـــة الفعل إلى ماليس فاعلاً في الحقيقة فيقولون : أراد الحائطُ أن يقع [4] : إذا مال ، وفلان يريد أن يموت : إذا كان محتضراً .

قال [5] : ومن سنن العرب ذكر الواحد والمراد الجمع ، كقولهم للجماعة : ضيف ، وعدوّ ، قال تعالى: « هؤلاء ضيفي » [6] . وقال : « ثم يُخرجكم طفلاً » [7] .

---

(١) الحارث بن عباد من فرسان بني بكر وساداتهم . اعتزل القتال ولم يشترك مع قومه في حرب البسوس ولما قتل المهلهل ابناً له ثأر ونادى بالحرب وانتصر على المهلهل. ومات نحو ٥٠ ق هـ .

(٢) حيال الشيء : قبالته ، ويقال : قعد حياله وبحياله أي بإزائه . والنعامـــة فرس الحارث بن عباد . والبيت من قصيدته التي قالها يوم دعا للحرب ، وقد كرر فيها قوله (قرّبا مربط النعامة مني) في أبيات كثيرة ، وردّ عليه المهلهل بقصيدته التي كرر فيها قوله (قربا مربط المشهّر مني) والمشهر فرس المهلهل .

(٣) في الصاحبي . ص : ١٧٩ .

(٤) قال تعالى : « فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض » الكهف ١٨ : ٧٧ .

(٥) الصاحبي . ص : ١٨٠ .

(٦) الآية « قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون » الحجر ١٥ : ٦٨ .

(٧) الآية « هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ... » غافر ٤٠ : ٦٧ .

وذكر الجمع والمراد واحد أو اثنان ، قال تعالى : « إن نعفُ عنْ طائفـــةٍ » .[1] والمراد واحد . « إنّ الذين ينادونك من وراء الحجرات »[2] . والمنادي واحد . « بِمَ يرجعُ المرسَلون »[3] وهو واحد ، بدليل « ارجع اليهم[3] » . « فقد صغت قلوبكمـــا[4] » وهما قلبان .

وصفة الجمع بصفة الواحـد ، نحو : « وإن كنتم جُنُباً »[5] . « والملائكةُ بعدَ ذلك ظهير »[6] .

وصفةالواحد أوالاثنين بصفةالجمع، نحو: بُرْمةٌ أعشارٌ[7] ، وثوب أهدام[8] ، وحبل أحذاق[9] قال :

---

(١) الآية : « لاتعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ، إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين » التوبة ٩ : ٦٦ وقالوا إن المعني بالطائفة الأولى رجل واحد. وانظر تفسير الطبري ١٤ : ٣٣٦ .

(٢) تتمة الآية « أكثرهم لايعقلون . » الحجرات ٤٩ : ٤ .

(٣) الآيات « وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون . فلما جاء سليمان قال أتمدونن بمال فما آتان الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون . ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها ... » النمل ٢٧ : ٣٥ – ٣٧ .

(٤) الآية : « إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما ..» التحريم ٦٦ : ٤ .

(٥) تتمة الآية : « فاطهروا ... » المائدة ٥ : ٦ .

(٦) التحريم ٦٦ : ٤ .

(٧) البُرمة : القدر ، والجمع بِرام . وبرمة أعشار : إذا انكسرت قطعاً قطعا .

(٨) الهدم بالكسر : البالي ، والجمع أهدام ، وقد وصفوا به المفرد .

(٩) حذَقت الحبل أحذِقه حذقاً : قطعته . ومنه قول الباهلي : وحبل الوصل منتكث حذيق .

جاء الشتاء وقميصي أخلاق [1]

وأرض سباسب [2] ، يسمون كل بقعة منها سبسباً لاتساعها .

قال [3] : ومن الجمع الذي يراد به الاثنان قولهم : امرأة ذات أوراك وماكم [4]

قال : ومن سنن العرب مخاطبة الواحد بلفظ الجمع، فيقال للرجل العظيم : انظروا في أمري ، وكان بعض أصحابنا يقول : إنما يقال هذا لأن الرجل العظيم يقول : نحن فعلنا ، فعلى هذا الابتداء خوطبوا في الجواب . ومنه في القرآن : « قال ربِّ ارجعُونِ »[5] .

قال : ومن سنن العرب أن تذكر جماعة وجماعة ، أو جماعة وواحداً ثم تخبر عنهما بلفظ الاثنين ، كقوله :

إنّ المنية والحتوف كلاهما يُوفي المخارمَ يرْقُبان سوادي[6]

(١) الثوب الخَلَق : البالي . وفي الصحاح : « ثوب أخلاق : إذا كانت الخَلوقة فيه كله . كما قالوا : برمة أعشار ، وثوب أسمال ، وأرض سباسب » . والشاهد في اللسان (مادة : خلق) وتتمته : شراذم يضحك منه التوّاق .

والتوّاق ابنه .

(٢) السبسب : المفازة . يقال : أرض سبسبٌ ، وأرض سباسب .

(٣) الصاحبي . ص : ١٨٢ .

(٤) الورك : مافوق الفخذ ، وهي مؤنثة . والماكم : ج مأكمة وهي العجيزة .

(٥) الآية : « حتى إذا جاء أحدكم الموت قال رب ارجعون . لعلي أعمل صالحاً فيما تركت .. » المؤمنون ٢٣ : ٩٩ ـ ١٠٠ .

(٦) البيت للأسود بن يعفر . وهو من شواهد مغني اللبيب (مبحث : كلا) والمخارم: الطرق . ويجيز ابن هشام أن تكون (يرقبان) خبراً للمنية والحتوف ، ومابينهما خبر أول أو اعتراض .

وفي التنزيل : « أنَّ السموات والأرضَ كانتا رتقاً ففتقْناهما »[1].

قال[2] : ومن سنن العرب أن تخاطب الشاهد ، ثم تحوّل الخطاب إلى الغائب ، أو تخاطب الغائب ، ثم تحوله الى الشاهد ، وهو الالتفات[3] ، وأن تخاطب المخاطب ثم يرجع الخطاب لغـــيره ، نحو : « فإن لمْ يستجيبوا لكم »[4] الخطاب للنبي ﷺ : ثم قال للكفار : « فاعلموا أنما أُنزلَ بعلم الله » . يدل على ذلك قوله : « فهل أنتم مسلمون » .

وأن يبتدأ بشيء ثم يخبر عن غيره ، نحو : « والذين يُتوفَّون منكم ويذَرون أزواجاً يتربّصن »[5] فخبرّ عن الأزواج وترك الذين .

قال[6] : ومن سنن العرب أن تنسُب الفعل الى اثنين وهو لأحدهما نحو : « مرَج البحرين »[7] الى قوله : « يخرُج منهما اللؤلؤ والمرجان » . وإنما يخرجان من الملح لا العذب .

---

(١) الآية : « أولم ير الذين كفروا أن السموات . . . » الأنبيـــاء ٢١ : ٣٠ والرتق : مصدر ، ومعناه ضمّ شيء إلى شيء ، وهو بمعنى اسم المفعول أي : مرتوقتين : يعني ملتصقتين .

(٢) الصاحبي : ١٨٣ .

(٣) وقد عرفه علماء البلاغة بقولهم « هو التعبير عن معنى بطريق من طرق التكلم أو الخطاب أو الغيبة ، بعد التعبير عنه بطريق آخر منها » .

(٤) الآية « فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون . » هود ١١ : ١٤ .

(٥) تتمة الآية « بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا ...» البقرة ٢ : ٢٢٤ .

(٦) الصاحبي : ١٨٥ .

(٧) الآيات : « مرج البحرين يلتقيان" . بينهما برزخ لايبغيان . فبأي آلاء ربكما تكذبان . يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان » الرحمن ٥٥ : ١٩ – ٢٢ .

وإلى الجماعة وهو لأحدهم ، نحو : « وإذْ قتلتم نفساً فادّارأتم فيها »[1] والقاتل واحد .

وإلى أحد اثنين وهو لهما ، نحو : « والله ورسوله أحق أن يُرضوه »[2]

قال : ومن سنن العرب أن تأمر الواحد بلفظ أمر الاثنين ، نحو : افعلا ذلك ، ويكون المخاطب واحداً .

أنشد الفرّاء[3] :

فقلت لصاحبي : لا تحبسنّا بنزع أصوله واجدَزّ شِيحا[4]

(١) تتمة الآية « والله مخرج ما كنتم تكتمون » البقرة ٢ : ٧٢ .

(٢) الآية « يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين » التوبة ٩ : ٦٢ .

(٣) هو أبو زكريا يحيى بن زياد ، تلميذ الكسائي وشيخ الكوفة من بعده . مات سنة ٢٠٧ هـ . وهو صاحب (معاني القرآن) وانظر ترجمته في معجم الأدباء ٢٠ : ٩ ونزهة الألبا : ١٣٤ .

(٤) في الصاحبي : (لا تحبسانا) وهو أنسب للشاهد . وجاء في لسان العرب : « أنشد ثعلب والكسائي ليزيد بن الطثرية :

فقلت لصاحبي : لا تحبسنا بنزع أصوله واجتز شيحا

ويروى : واجدزّ . وذكر الجوهري أن البيت ليزيد بن الطثرية (ورواية الجوهري : لا تحبسانا) ... قال ابن بري : ليس هو ليزيد وإنما هو لمضرس بن ربعي الأسدي ، وقبله :

وفتيان شويت لهم شِواءً سريع الشيّ كنت به نجيحا
فطرت بمنصُل في يعملات دوامي الأيد يخبطن السريحا
وقلت لصاحبي : لا تحبسنا بنزع أصوله واجتز شيحا

قال : والبيت كذا في شعره ، والضمير في (به) يعود على الشي . والنجيح : المنجح . والمنصل : السيف . واليعملات : النوق ... والسريح : خرق أو جلود تشد على أخفافها إذا دميت . وقوله : لا تحبسنا بنزع أصوله ، يقول : لا تحبسنا عن شي الالحم بأن تقلع أصول الشجر بل خذ ما تيسر من قضبانه وعيدانه ، وأسرع في شيه . ويروى : لا تحبسانا وقال في معناه إن العرب ربما خاطبت الواحد بلفظ الاثنين . » اللسان . (مادة : جزز) .

وقال :

فإنْ تزجراني يابن عفَّانَ أنزجر
وإن تدَعاني أحمِ عِرضاً مُمنَّعا[1]

وقال الله تعالى : « ألقيا في جهنم »[2] . وهو خطاب لخزنة النار والزبانية . قال : ونرى أن أصل ذلك أن الرفقة أدنى ما تكون ثلاثة نفر ، فجرى كلام الواحد على صاحبيه ، ألا ترى أن الشعراء أكثر الناس قولاً يا صاحبيَّ ويا خليليَّ .

قال[3] : ومن سنن العرب أن تأتي بالفعل بلفظ الماضي ، وهو حاضر أو مستقبل ، أو بلفظ المستقبل وهو ماض ، نحو : « أتى أمر

---

(١) البيت لسويد بن كُراع العكلي . ونقل صاحب اللسان – كما رأيت في الحاشية السابقة – أن العرب ربما خاطبت الواحد بلفظ الاثنين ، ثم قال : « كما قال سويد ابن كراع العكلي ، وكان سويد هذا هجا بني عبد الله بن دارم فاستعدوا عليه سعيد بن عثمان ، فأراد ضربه ، فقال سويد قصيدة أولها :

تقول ابنة العوفي ليلى : ألا ترى ... إلى ابن كراع لايزال مفزّعا
مخافة هذين الأميرين سهدت ... رقادي وغشتني بياضاً مقزّعا
فإن أنتما أحكمتماني فازجرا ... أراهط تؤذيني من الناس رضّعا
وإن تزجراني يابن عفان أنزجر ... وإن تدعاني أحم عرضاً ممنّعا

قال : وهذا يدل على أنه خاطب اثنين : سعيد بن عفان ومن ينوب عنه أو يحضر معه . وقوله : فإن أنتما أحكمتماني ، دليل أيضاً على أنه يخاطب اثنين . وقوله : أحكمتماني أي منعتماني من هجائه . وأصله من أحكمت الدابة إذا جعلت فيها حكمة اللجام . وقوله : وإن تدعاني أحم عرضاً ممنعا : أي إن تركتماني حميت عرضي ممن يؤذيني ، وإن زجرتماني انزجرت وصبرت . والرُضع : ج راضع ، وهو اللئيم » اللسان (مادة : جزز) .

(٢) الآية « ألقيا في جهنم كل كفار عنيد .. » ق ٥٠ : ٢٤ .

(٣) في (باب الفعل يأتي بلفظ الماضي وهو راهن أو مستقبل ، وبلفظ المستقبل وهو ماض) الصاحبي : ١٨٦ وانظر في الموضوع مايقوله علماء المعاني في باب خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر .

الله »[1] أي يأتي . « كنتم خير أمة »[2] أي أنتم . « واتّبعوا ما تتلو الشياطين »[3] أي ما تلت .

وأن تأتي بالمفعول بلفظ الفاعل ، نحو : سرّ كاتم ، أي مكتوم . و« ماء دافق »[4] ، أي مدفوق . و « عيشة راضية »[5] ، أي مرضي بها . و « حرماً آمناً »[6] ، أي مأمونا فيه . وبالفاعل بلفظ المفعول ، نحو : عيش مغبون ، أي غابن ، ذكره ابن السكيت .

قال: ومن سنن العرب وصف الشيء بما يقع فيه، نحو: يوم عاصف، وليل نائم ، وليل ساهر[7] .

قال[8] : ومن سنن العرب التوهّم والإيهام ، وهو أن يتوهم أحدهم شيئاً ثم يجعل ذلك كالحق ، منه قولهم : وقفت بالربع أسأله . وهو أكمل عقلاً من أن يسأل رسماً يعلم أنه لا يسمع ولا يعقل ، لكنه تفجع لما

---

(١) الآية « أتى أمر الله فلا تستعجلوه » النحل ١٦ : ١ .

(٢) الآية « كنتم خير أمة أخرجت للناس ؛ تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » آل عمران ٣ : ١١٠ .

(٣) تتمة الآية « على مُلك سليمان .. » البقرة ٢ : ١٠٢ .

(٤) الآيات «فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق» الطارق ٨٦ : ٥ - ٦ .

(٥) الآية « فهو في عيشة راضية.» الحاقة ٦٩ : ٢١ . والقارعة ١٠١ : ٧ .

(٦) الآية « أولم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويُتخطف الناس من حولهم .. » العنكبوت ٢٩ : ٦٧ .

(٧) يحسن أن تعود إلى بحث المجاز وعلاقاته في كتب البيان .

(٨) الصاحبي : ١٩٢ .

رأى السُّكّن [1] رحلوا ، وتوهم أنه يسأل الربع أين انتأوا [2] ، وذلك كثير في أشعارهم .

قال [3] : ومن سنن العرب الفرق بين ضدّين بحرف أو حركة ، كقولهم : يدوَى من الداء [4] ، ويُداوى من الدواء ، ويُخفر إذا نقض من أخفر ، ويَخفِر إذا أجار من خفر ، ولُعَنَة إذا أكثر اللعن ، ولُعْنة إذا كان يُلعن ، وهُزَأَة وهُزْأَة ، وسُخَرة وسُخْرة .

قال [5] : ومن سنن العرب البسط بالزيادة في عدد حروف الاسم والفعل ، ولعل أكثر ذلك لإقامة وزن الشعر ، وتسوية قوافيه ، كقوله :

وليلة خامدة خمودا طخْياءَ تُعشي الجدْي والفُرقودا
إذا عميرٌ همّ أن يرقودا [6]

فزاد في الفرقد الواو ، وضم الفاء ؛ لأنه ليس في كلامهم ، فَعلول ، وكذلك زاد الواو في قوله :

لو أن عمراً همّ أن يرقودا

---

(١) السُّكّن : أهل الدار .

(٢) في الصاحبي : (أين انتووا) من النية .

(٣) في الصاحبي (باب الفرق بين ضدّين بحرف أو حركة) ص : ١٩٢ .

(٤) دَوِى الرجل : مرض . والدوى - مقصور - المرض .

(٥) في (باب البسط في الأسماء) الصاحبي . ص : ١٩٣ .

(٦) الطخياء : الحالكة الظلمة . والجدي والفرقد : نجمان قريبان من القطب . والراجز يصف ليلة شديدة الظلام فيقول إن الجدي والفرقد ، وهما دليلا المسافرين يعشيان في هذه الليلة لشدة ظلامها فيعجزان عن أن يهديا أحدا .

قال[1] ومن سنن العرب القبض ، محاذاة للبسط ، وهو النقصان من عدد الحروف ، كقوله :

غرثى الوشاحين صموتُ الخلْخَل[2]

أي الخلخال .

ويقولون : درس المنا ، يريدون المنازل ، ونار الحُباحب[3] .

ومنه باب الترخيم في النداء وغيره ، ومنه قولهم : لاه ابن عمك[4] أي لله ابن عمك .

قال[5] : ومن سنن العرب الإضمار ، إما للاسماء ، نحو : ألا يا اسلمي ، أي يا هذه ، أو الأفعال نحو : أثعلباً وتفرّ ، أي أترى ثعلباً ، ومنه إضمار القول كثيراً . أو للحروف نحو :

---

(١) في (باب القبض) . الصاحبي . ص : ١٩٤ .

(٢) الغَرث : الجوع . وامرأة غرثى الوشاح : خميصة البطن دقيقة الخصر . ووشاح غرثان : لا يملؤه الخصر .

وفي اللسان : الخلخل لغة في الخلخال أو مقصور منه .

(٣) هنا نقص ، وتمامه كما في الصاحبي (ص: ١٩٤) : « وكأنما تذكي سنابكها الحبا . أراد نار الحباحب » ونار الحُباحب : الشرر المتطاير من تصادم الحجارة . وكذلك النار التي توريها الخيل بسنابكها . وفي اللسان : « وقوله :

يذرين جندل حائر لجنوبها فكأنها تذكي سنابكها الحُبا

إنما أراد الحباحب ، أي : نار الحباحب . يقول : تصيب بالحصاني جريها جنوبها » اللسان (مادة : حبحب) .

(٤) كما في قول ذي الإصبع :

لاه ابن عمك لا أفضلت في حسب عني ولا أنت ديباني فتخزوني

(٥) في (باب الإضمار) . الصاحبي ص : ١٩٦ وفي النص تفصيل لم ينقله السيوطي .

ألا أيّـهذا الزاجري أشهدَ الوغى [1]

أي أن أشهد .

قال [2] : ومن سنن العرب التعويض ، وهو إقامة الكلمة مقام الكلمة ، كإقامة المصدر مقام الأمر نحو : «فضربَ الرِّقاب» [3] . والفاعل مقام المصدر ، نحو : «ليس لوقعتها كاذبة» [4] ، أي تكذيب . والمفعول مقام المصدر ، نحو : « بأيكمُ المفتون » [5] ، أي الفتنة . والمفعول مقام الفاعل نحو : « حجاباً مستوراً » [6] ، أي ساتراً .

قال [7] : ومن سنن العرب تقديم الكلام وهو في المعنى مؤخر ، وتأخيره وهو في المعنى مقدم ، كقوله :

ما بال عينك منها الماء ينسكب [8]

---

(١) من معلقة طرفة . والرواية الشهورة :

ألا أيهذا الزاجري أحضرَ الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي ؟

وانظر الديوان . ص : ٤٢ .

(٢) في (باب التعويض) . الصاحبي ص : ١٩٩ وانظره فيه فهو أكثر تفصيلاً .

(٣) الآية « فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب » محمد ٤٧ : ٤ .

(٤) قبلها « إذا وقعت الواقعة . ليس ... » الواقعة ٥٦ : ١ – ٢ .

(٥) قال تعالى : « وإنك لعلى خلق عظيم . فستبصر ويبصرون . بأيكم المفتون » القلم ٦٨ : ٤ – ٦ والمفتون من أصابته فتنة ذهبت بعقله ، ثم استعمل وأريد به المصدر أي الفتنة بمعنى الجنون .

(٦) الآية « وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لايؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً » الإسراء ١٧ : ٤٥ .

(٧) في (باب التقديم والتأخير) الصاحبي ص : ٢٠٨ .

(٨) تتمته : كأنه من كلى مفرية سرب .

وهو لذي الرمة (الديوان : ١) والكلى : ج كلية وهي رقعة في عروة المزادة . والمفرية : المقطوعة . والسرب : السائل . وانظر اللسان (مادة : سرب) .

أراد ما بال عينك ينسكب منها الماء ، وقوله تعالى : « ولولا كلمةٌ سبقتْ من ربكَّ لكان لِزاماً وأجلٌ مُسمًّى »[1] فأجل معطوفة على « كلمة » ، والتأويل : ولولا كلمة سبقت من ربك ، وأجل مسمى لكان العذاب لازماً لهم .

قال[2] : ومن سنن العرب أن يعترض بين الكلام وتمامه كلام[3] نحو : اعمل ــ والله ناصري ــ ماشئت .

قال[4] : ومن سنن العرب أن تشير إلى المعنى إشارة ، وتومىء إيماء دون التصريح ، نحو : طويل النِّجاد ، يريدون طول الرجل ، وغَمْر الرداء : يومئون إلى الجود : وطرب العنان : يومئون إلى الخفّة والرشاقة .

قال[5] : ومن سنن العرب الكفُّ ، وهو أن تكف عن ذكر الخبر اكتفاء بما يدل عليه الكلام ، كقوله:

إذا قلتُ سيروا نحو ليلى لعلها جرى دون ليلى مائل القرْن أعضب[6]

(١) سورة طه ٢٠ : ١٢٩ .

(٢) في (باب الاعتراض) . الصاحبي . ص : ٢٠٩ .

(٣) ويتابع ابن فارس كلامه فيقول : « ولا يكون هذا المعترض إلا مفيداً » .

(٤) في (باب الإيماء) . الصاحبي . ص : ٢١٠ .

(٥) في (باب الكفّ) . الصاحبي . ص : ٢١٥ .

(٦) عضَب القرن : قطعه . والكبش الأعضب : المكسور القرن ، والبين العضب . قال الأخطل :

إن السيوف غدوّها ورواحها تركت هوازن مثل قرن الأعضب

والشاهد أنه ترك خبر لعلّ ، وهو يريد : لعلها قريبة . والرواية في الصاحبي : إذا قلت سيري .

والبيت من شواهد المغني ٢ : ٧٠١ والرواية فيه : إذا قلت سيروا إن ليلى لعلها ..

ترك خبر لعلها .

قال [1] : ومن سنن العرب أن تُعير الشيء ماليس له ، فتقول : مرّ بين سمع الأرض وبصرها .

قال [2] : ومن سنن العرب أن تُجري الموات ومالا يعقل في بعض الكلام مجرى بني آدم ، كقوله في جمع أرض: أرضون ، وقال تعالى : « كلٌ في فلَكٍ يسبحون [3] » .

قال [4] : ومن سنن العرب المحاذاة ، وذلك أن تجعل كلاماً ما بحذاء كلام ، فيؤتى به على وزنه لفظاً ، وإن كانا مختلفين ، فيقولون: الغدايا والعشايا . فقالوا : الغدايا ، لانضمامها إلى العشايا [5] . ومثله قولهم : أعوذ بك من السامّة واللامّة . فالسامّة من قولك سمّت النعمة إذا

---

(١) في (باب الإعارة) . الصاحبي . ص : ٢١٦ .

(٢) في (باب مايجري من غير ابن آدم مجرى بني آدم في الإخبار عنه) الصاحبي ص : ٢١١ .

(٣) الآية « وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون» الأنبياء ٢١ : ٣٣ .

(٤) في (باب المحاذاة) الصاحبي . ص : ١٩٥ .

(٥) جاء في لسان العرب عن ابن السكيت : إني لآتيه بالغدايا والعشايا ، أرادوا جمع الغداة فأتبعوها العشايا للازدواج . وإذا أفرده لم يجز ، ولكن يقال : غداة وغدوات لاغير .

وعن ابن الأعرابي: غديّة مثل عشية ، لغة في غَدْوة ، كضحيّة لغة في ضَحْوَة. فإذا كان كذلك فغدية وغدايا كعشية وعشايا . قال ابن سيده : وعلى هذا لانقول إن الغدايا إتباع للعشايا ، إنما كسّروه على وجهه ؛ لأن فعيلة بابه أن يكسر على فعائل .أنشد ابن الأعرابي :

ألاليت حظي من زيارة أُمّيه غديّاتُ قيظ أوعَشيّات أشتيه

وانظر اللسان (مادة : عشا ، وغدا) .

خصّت [1] واللامّة أصلها من ألمّت [2] ، لكن لمّا قرنت بالسامة جعلت في وزنها .

قال : وذكر بعض أهل العلم أن من هذا الباب كتابة المصحف : « والليل إذا سجى » [3] بالياء ، وهو من ذوات الواو ، لمّا قرن بغيره مما يكتب بالياء .

قال : ومن هذا الباب قوله تعالى : « ولو شاء الله لسلّطهم عليكم » [4] فاللام التي في (لسلطهم) جواب لو . ثم قال : « فلقاتلوكم » ، فهذه حوذيت بتلك اللام ، وإلاّ فالمعنى لسلطهم عليكم ، فقاتلوكم .

ومثله « لأعذبنّه عذاباً شديداً ، أو لأذبحنّه » [5] . فهما لاما قسم ، ثم قال : « أو ليأتينّي » ، فليس ذا موضع قسم ، لأنه عذر للهدهد ، فلم يكن ليقسم على الهدهد أن يأتي بعذر ، لكنه لما جاء به على أثر ما يجوز فيه القسم أجراه مجراه ، فكذا باب المحاذاة .

قال : ومن الباب وزنته فاتزن ، وكلته فاكتال ، أي استوفاه كيلاً

---

(١) سمّت النعمة : خصّت . والسامة : الخاصة . والسامة أيضاً : ذات السم .

(٢) الملمة : النازلة الشديدة . والعين اللامة : التي تصيب بسوء ، والأصل من ألمت بالشيء إذا أتته .

(٣) يعني قرن بالضحى في قوله تعالى : « والضحى والليل إذا سجى » الضحى ٩٣ : ١ - ٢ .

(٤) الآية « ولو شاء الله لسلطهم عليكم فقاتلوكم .. » النساء ٤ : ٩٠ .

(٥) من قوله تعالى « وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين. لأعذبنه عذاباً شديداً أولأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين » النمل ٢٧ : ٢٠ - ٢١ .

ووزناً ، ومنه قوله تعالى : « فمالكم عليهنَّ من عِدّة تعتدّونها »[1] ، أي تستوفونها ، لأنها حق للأزواج على النساء .

قال : ومن هذا الباب الجزاء[2] عن الفعل بمثل لفظه ، نحو : « إنما نحنُ مُستهزئون ، اللهُ يستهزئُ بهم »[3] . أي يجازيهم جزاء الاستهزاء . « ومَكروا ومكرَ الله »[4] ، و« فيسْخرون منهم سخِرَ اللهُ منهم »[5] . و« نسُوا اللهَ فنسيهم »[6] . « وجزاءُ سيئةٍ سيئةٌ مثلها »[7] ، ومثل هذا في شعر العرب قول القائل :

ألا لا يجهلنْ أحـــد علينا فنجهلَ فوق جهل الجاهلينا[8]

انتهى ما ذكره ابن فارس .

---

(١) الآية « يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها » الأحزاب ٣٣ : ٤٩ .

(٢) في الصاحبي : « الجزاء على الفعل ... » ويقال : كافأه على الشيء ، وجازاه عليه .

(٣) من قوله تعالى : « وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون . الله يستهزىء بهم ويمدّهم في طغيانهم يعمهون » البقرة ٢ : ١٤ - ١٥ .

(٤) سورة آل عمران ٣ : ٥٤ .

(٥) الآية « الذين يلمزون المطوّعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم » التوبة ٩ : ٧٩ .

(٦) الآية « المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهَون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون » التوبة ٩ : ٦٧ .

(٧) سورة الشورى ٤٢ : ٤٠ ،

(٨) من معلقة عمرو بن كلثوم .

ومن نظائر الغدايا والعشايا مافي الجمهرة ، تقول العرب للرجل إذا قدم من سفر : أوْبة وطوبة ، أي أبت إلى عيش طيب ومآب طيب، والأصل طيبة ، فقالوه بالواو لمحاذاة أوبة .

وقال ابن خالويه : إنما قالوا : طوبة ، لأنهم أزوجوا به أوبة .

وفي ديوان الأدب : يقال : بفيه البرَى ، وحُمّى خيبرى ، وشرُّ ما يُرى ، فإنه خيْسرى [1] . يعني الخسران ، وهو على الازدواج .

وفيه : يقال: أخذني من ذلك ماقدُم وما حدُث ، لايضم حدَث في شيء من الكلام إلاّ في هذا الموضع ، وذلك لمكان قدُم على الازدواج.

وفي أمالي القالي : قال أبو عبيدة : يقال : خير المال سِكة مأبورة أو مُهرة مأمورة ، [2] أي كثيرة الولد ،وكان ينبغي أن يقال : مُؤْمرة ولكنه أتبع مأبورة . والسِكة : السطر من النخل .

وفي الصحاح : قال الفراء يقال: هنأني الطعام ومرَأني ، إذا أتبعوها هنأني قالوها بغير ألف ، فإذا أفردوها قالوا : أمرأني [3] .

وفيه : يقال: له عندي ما ساءه وناءه، قال بعضهم : أراد ساءه وأناءه وإنما قال ناءه – وهو لايتعدى – لأجل ساءه ليزدوج الكلام ، كما يقال: إني لآتيه بالغدايا والعشايا ، والغداة لا تجمع على غدايا .

(١) البَرى : التراب . والخيبرى والخسار والخسارة بمعنى واحد .

(٢) أمِر القوم : كثروا . والمهرة المؤمرة : الولود الكثيرة النتاج .

(٣) طعام هنيء مريء : حميد المغبة بيّن المرْأة . ومرؤ الطعام ومرأ : صار مريئاً ، وهو الذي لايثقل على المعدة وينحدر عنها طيبا .

وفيه : جمعوا الباب على أبوبة للازدواج ، قال :

هتّاكِ أخبيةولاّجِ أبوبةِ [1]

ولو أفرده لم يجز .

وفيه يقال : تَعساً له ونَكْساً . وإنماهو نُكْس بالضم ، وإنما فتح هنا للازدواج .

وقال الفراء : إذا قالوا : النَجس معالرجْسأتبعوه إياه ، فقالوا: رِجْس نِجْس بالكسر ،وإذا أفردوه قالوا : نجَس بالفتح : قال تعالى : « إنما المُشركونَنجَس » [2] .

وفي الصحاح يقال: لادَرَيْتَ ولاتَلَيْت،تزويجاً للكلام ، والأصل ولا ائتليت ، وهو افتعلت من قولك : ما ألوتهذا : أي ما استطعته، أي ولا استطعتَ .

قال ابن فارس [3] : ومن سنن العرب الاقتصار على ذكر بعض الشيء وهم يريدونه كله [4] : فيقولون : قعد على صدر راحلته ومضى . ويقول قائلهم :

---

(١) تتمته : يخلط بالبرّ منه الجدّ واللينا .

وهو من الأبيات المنسوبة إلى ابن مقبل . الأخبية : ج خباء . وهتاك أخبية يعني أنه يكثر هتك الأخبية في غاراته . وولاج أبوبة يعني أبواب الملوك والعظماء . وانظر الصحاح واللسان والتاج (مادة : بوب) وديوان ابن مقبل . ص : ٤٠٦ .

(٢) في قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجَس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا » التوبة ٩ : ٢٨ .

(٣) الصاحبي : ٢١٢ .

(٤) يحسن أن تعود إلى بحث المجاز المرسل وعلاقته الجزئية في كتب البيان .

ومن هذا الباب : « ويبقى وجهُ ربِّك [1] » . « ويُحذِّرُكم اللهُ نفسه [2] » ، أي إياه ، وتواضعت سُوْر المدينة [3] .

قال : وقد جاء القرآن بجميع هذه السنن ، لتكون حجةُ الله عليهم آكد ، ولئلا يقولوا : إنما عجزنا عن الإتيان بمثله لأنه بغير لغتنا ، وبغير السنن التي نستنها ، فأنزله جل ثناؤه بالحروف التي يعرفونها ، وبالسنن التي يسلكونها في أشعارهم ومخاطباتهم ، ليكون عجزهم عن الإتيان بمثله أظهر وأشعر .

وقال الفارابي في ديوان الأدب : هذا اللسان كلام أهل الجنة ، وهو المنزه من بين الألسنة من كل نقيصة ، والمُعلى من كلّ خسيسة ، والمهذَّب مما يستهجن أو يستشنع ، فبُني مباني باين بها جميع اللغات من إعراب أوجده الله له ، وتأليفٍ بين حركة وسكون حلاّه به ، فلم يجمع بين ساكنين أو متحركين متضادّين ، ولم يُلاقِ بين حرفين لا يأتلفان ولا يعذُب النطق بهما ، أو يشنُع ذلك منهما في جرْس النغمة ، وحس السمع ، كالغين مع الحاء ، والقاف مع الكاف ، والحرف المطبَق [4] مع غير المطبق

(١) تتمة الآية « ذو الجلال والإكرام » الرحمن ٥٥ : ٢٧ .

(٢) سورة آل عمران ٣ : ٢٨ و ٣٠ .

(٣) وقيل : السور : حائط المدينة ، وهو مذكر ، ولكنه لما كان بعض المدينة فقد أنث . قال جرير :

لما أتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجبال الخشّع

وانظر الإيضاح في علل النحو ص : ٣٨ الحاشية ٦ و ٧ .

(٤) الحروف المطبقة هي : الصاد ، والضاد ، والطاء ، والظاء .

مثل تاء الافتعال مع الصاد والضاد في أخواتٍ لهما ، والواو الساكنة مع الكسرة قبلها ، والياء الساكنة مع الضمة قبلها ، في خلال كثيرة من هذا الشكل لا تحصى .

وقال في موضع آخر : العرب تميل عن الذي يُلزم كلامها الجفاء إلى ما يُلين حواشيه ويُرقّها ، وقد نزّه الله لسانها عما يجفيه ، فلم يجعل في مباني كلامها جيماً تجاورها قاف متقدمة ولا متأخرة ، أو تجامعها في كلمة صاد أو كاف ، إلاّ ما كان أعجمياً أعرب ، وذلك لجُسْأة[1] هذا اللفظ ، ومباينته ما أسس الله عليه كلام العرب من الرونق والعذوبة ، وهذه علة أبواب الإدغام وإدخال بعض الحروف في بعض ، وكذلك الأمثلة والموازين ، اختير منها ما فيه طِيْبُ اللفظ ، وأهمل منها ما يجفو اللسان عن النطق به أو لا مكررها ، كالحرف الذي يبتدأ به لا يكون إلا متحركاً ، والشيء الذي تتوالى فيه أربع حركات أو نحو ذلك يسكّن بعضها .

فائدة جليلة[2] ــ قال الزمخشري في (ربيع الأبرار) قالوا : لم تكن الكُنى لشيء من الأمم إلاّ للعرب وهي من مفاخرها ، والكُنية إعظام ، وما كان يُؤهل لها إلاّ ذو الشرف من قومهم ، قال :

أكنيه حين أناديه لأكرمه ولا ألقّبه ، والسوأة اللّقبُ

والذي دعاهم إلى التكنية الإجلالُ عن التصريح بالاسم بالكناية عنه ،

---

(١) الجسأة : الصلابة .

(٢) يعود السيوطي هنا إلى ذكر خاصة تتصل بالعرب أكثر مما تتصل بلغتهم ، وقد سبق له أن نقل مثل ذلك حين تحدث عن الأنساب في جملة حديثه عن خصائص العربية .

ونظيره العدول عن فعل إلى فعل في نحو قوله : « وغيضَ الماءُ وقُضي الأمر »[1] .ومعنى كنيته بكذا : سمّيته به على قصد الإخفاء والتورية، ثم ترقّوا عن الكنى إلى الألقاب الحسنة ، فقلّ من المشاهير في الجاهلية والاسلام من ليس له لقب ، إلا أن ذلك ليس خاصاً بالعرب ، فلم تزل الألقاب في الأمم كلها من العرب والعجم .

خاتمة ــ قال المطرّزي[2] في شرح المقامات : كان يقال : اختص الله العرب بأربع : العمائم تيجانها ، والحِبا[3] حيطانها ، والسيوف سِيجانها[4] ، والشعر ديوانها .

وقال : وإنما قيل : الشعر ديوان العرب ، لأنهم كانوا يرجعون إليه عند اختلافهم في الأنساب والحروب ، ولأنه مستودَع علومهم ، وحافظ آدابهم ، ومعدِن أخبارهم ، ولهذا قيل :

الشعر يحفظ ما أودى الزمان به
والشعر أفخر ما يُنبي عن الكرم
لولا مقال زهـــير في قصائده
ما كنت تعرف جوداً كان في هرم

---

(١) الآية « وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض ...» هود ١١ : ٤٤.

(٢) هو أبو الفتح برهان الدين الخوارزمي المطرّزي ، كان فقيهاً ولغوياً ، شرح مقامات الحريري ،وألف في النحو واللغة، ومات سنة ٦١٠ هـ .

(٣) الحِبا : ج حبوة ، بالضم والكسر والفتح ، وحبية ، وهي من احتبى الرجل إذا جمع ظهره وساقيه بعمامته أو نحوها .

(٤) الساج : الطيلسان ، وقيل الأخضر منه . والجمع : سيجان .

وأخرج ابن النجار في تاريخه ، من طريق إبراهيم بن المنذر . قال : حدثني أبو سعيد المكى عمَّن حدثه ، عن ابن عباس ، أنه دخل على معاوية ، وعنده عمرو بن العاص ، فقال عمرو : إن قريشاً تزعم أنك أعلمها فلم سُميت قريش قريشاً ؟ قال : بأمر بيّن . قال : فسِّره لنا ، ففسره ، قال : هل قال أحد فيه شعراً ؟ قال : نعم . قال : سُمِّيت قريش بدابّة في البحر . وقد قال المشمرج بن عمرو الحميري :

وقريش هي التي تسكن البحـ ـرَ بها سميت قريش قريشا [1]
تأكل الغثَّ والسَّمين ولا تتـ ـرك فيه لذي الجناحين ريشا
هكذا في البلاد حيّ قريش يأكلون البلاد أكلاً كميشا [2]
ولهم آخر الزمان نبيّ يكثر القتل فيهم والخموشا [3]
تملأ الأرض خيلُه ورجالٌ يحشرون المطيَّ حشراً كشيشا [4]

---

(١) القَرْش : الجمع والكسب . وعن ابن سيده : قَرَش قرشاً : جمع وضمّ من هنا وهنا . . . وبه سميت قريش ، وكذلك قال الفراء . والقِرْش : دابة في البحر الملح لاتدع دابة إلا أكلتها ، فجميع الدواب تخافها . قيل بها سميت قريش . والبيت في اللسان (مادة : قرش) .

(٢) الكَمْش : الرجل السريع الماضي . وقد كَمش كاشة فهو كَمْش وكميش .

(٣) الخموش : الخدوش .

(٤) الكشيش : صوت ؛ فهو من الأفعى صوت جلدها إذا زحفت ، ومن البعير أول هديره ، ومن الماء صوت غليانه .

وأخرج ابن عساكر في تاريخه من طريق هشام بن عروة عن أبي ريحانة العامريّ قال : قال معاوية لابن عباس : لم سُميت قريش قريشاً؟ قال : بدابّة تكون في البحر من أعظم دوابّه ، يقال لها القرش ، لا تمرّ بشيء من الغث والسمين إلاّ أكلته . قال : فأنشدْني في ذلك شيئاً ، فأنشده شعر الحميري ، فذكر الأبيات .

النص التاسع [1]

معرفة الاشتقاق [2]

قال ابن فارس في فقه الفقة [3] : باب القول على لغة العرب ، هل لها قياس ؟ وهل يُشتق بعض الكلام من بعض ؟

أجمع أهل اللغة ـ إلاّ من شذّ منهم ـ أن للغة العرب قياساً ، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض ، واسم الجنّ مشتق من الاجتنان ، وأن الجيم والنون تدلان أبداً على الستر ؛ تقول العرب للدرع : جُنّة ، وأجنّه الليل ، وهذا جنين ، أي هو في بطن أمه . وأن الإنس من الظهور ، يقولون : آنست الشيء : أبصرته . وعلى هذا سائر كلام العرب . عَلِم ذلك من علم ، وجهله من جهل .

قال : وهذا مبني أيضاً على ما تقدم من أن اللغة توقيف ، فإن الذي وقفنا على أن الاجتنان : الستر ، هو الذي وقفنا على أن الجن مشتق منه . وليس لنا اليوم أن نخترع ، ولا أن نقول غير ما قالوه ، ولا أن

---

(١) من كتاب المزهر ١ : ٣٤٥ .

(٢) هو النوع الثالث والعشرون من الأنواع الخمسين في المزهر . وأحد الأنواع الثلاثة عشر التي ترجع إلى اللغة من حيث المعنى .

(٣) الصاحبي : ٣٣ .

نقيس قياساً لم يقيسوه ، لأن في ذلك فساد اللغة وبطلان حقائقها .

قال : ونكتة الباب أن اللغة لا تؤخذ قياساً نقيسه الآن نحن. انتهى كلام ابن فارس .

وقال ابن دحية في التنوير [1] : الاشتقاق من أغرب كلام العرب ، وهو ثابت عن الله تعالى بنقل العدول عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، لأنه أوتي جوامع الكلم ، وهي جمع المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة، فمن ذلك قوله فيما صح عنه : «يقول الله : أنا الرحمن، خلقت الرّحم وشققت لها من اسمي » . وغير ذلك من الأحاديث .

وقال في شرح التسهيل : الاشتقاق أخذ صيغة من أخرى ، مع اتفاقهما معنى ، ومادة أصلية ، وهيئة تركيب لها ، ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة ، لأجلها اختلفا حروفاً أو هيئة ، كضارب من ضرب ، وحذِر من حذِر .

وطريق معرفته تقليبُ تصاريف الكلمة ، حتى يُرجع منها إلى صيغة هي أصل الصيغ دلالة اطراد أو حروفاً غالباً ، كضرْب فإنه دال على مطلق الضَرْب فقط ، أما ضارب ، ومضروب، ويضرب ، واضرب ، فكلها أكثر دلالة وأكثر حروفاً ، وضرب الماضي مساوٍ حروفاً وأكثر دلالة ، وكلها مشتركة في (ض ر ب) وفي هيئة تركيبها. وهذا هو الاشتقاق الأصغر المحتجّ به .

(١) هو أبو الخطاب ، عمر بن الحسن المعروف بابن دحية ، أندلسي الأصل ، رحل إلى المشرق ومات في القاهرة سنة ٦٣٣ هـ ، وكان معدوداً من أهل الأدب والتاريخ حفظ الحديث .

وأما الأكبر فيحفظ فيه المادةُ دون الهيئة [1] فيجعل (ق و ل) و (و ل ق) و (و ق ل) و (ل ق و) وتقاليبها الستة ، بمعنى الخفّة والسرعة . وهذا مما ابتدعه الإمام أبو الفتح بن جني ، وكان شيخه أبو علي الفارسي يأنس به يسيراً . وليس معتمَداً في اللغة ، ولا يصحّ أن يُستنبط به اشتقاق في لغة العرب ، وإنما جعله أبو الفتح بياناً لقوة ساعده ورده المختلفات إلى قدر مشترك ، مع اعترافه وعلمه بأنه ليس هو موضوع تلك الصيغ ، وأن تراكيبها تفيد أجناساً من المعاني مغايرة للقدر المشترك . وسبب إهمال العرب وعدم التفات المتقدمين إلى معانيه أن الحروف قليلة ، وأنواع المعاني المتفاهمة لا تكاد تتناهى ، فخصّوا كل تركيب بنوع منها ، ليفيدوا بالتراكيب والهيئات أنواعاً كثيرة ، ولو اقتصروا على تغاير المواد حتى لا يدلوا على معنى الإكرام والتعظيم إلاّ بما ليس فيه من حروف الإيلام والضرب ، لمنافاتها لهما ، لضاق الأمر جداً ، ولاحتاجوا إلى ألوف حروف لا يجدونها ، بل فرّقوا بين مُعتِق ومُعتَق بحركة واحدة حصل بها تمييز بين ضدّين [2] .

---

(١) وقد سبق الحديث عنه في النص الخامس . ص : ٥٤ .

(٢) كان ابن جني قد سبق إلى القول بأن تقاليب المادة الواحدة تعود ، هي وما تصرف من كل منها ، إلى معنى واحد تجتمع عليه ، ومثّل لذلك بمادة (ق و ل) و (ك ل م) و (ج ب ر) ...

والحق أنه لو صح ذلك لفاتت على العرب الغاية من تغيير هيئات الألفاظ ، وتبديل مواضع الحروف في الكلمات . إنه لابد لهم من التغلب على مشكلة التعبير ، وهي مشكلة وجود عدد محدود من الحروف يراد منا أن نعبر به عن عدد لا يتناهى من المعاني والأفكار . وقد لجأ العرب ، وهم الذين يرون البلاغة في الإيجاز ، ويستعملون في سبيله طرقاً رائعة وفنوناً عجيبة ، إلى وسائل متعددة تكفل لهم سعة حروفهم القليلة لمعانيهم الكثيرة . وكان مما سلكوه في سبيل ذلك ما نحن بصدده من تغيير مواضع الحروف في الكلمة الواحدة . =

هذا ، وما فعلوه أخصر وأنسب وأخف ، ولسنا نقول إن اللغة أيضاً اصطلاحية ، بل المراد بيان أنها وقعت بالحكمة كيف فرضت . ففي اعتبار المادة دون هيئة التركيب من فساد اللغة ما بينت لك . ولا ينكر مع ذلك أن يكون بين التراكيب المتحدة المادة معنى مشترك بينها هو جنس لأنواع موضوعاتها ، ولكن التحيّل على ذلك في جميع مواد التركيبات كطلب لعنقاء مغرب[1] ، ولم تحمل الأوضاع البشرية إلاّ على فهوم قريبة غير غامضة على البديهة ، فلذلك إن الاشتقاقات البعيدة جداً لا يقبلها المحققون .

واختلفوا في الاشتقاق الأصغر ، فقال سيبويه ، والخليل ، وأبو

= لقد رأوا أن تغيير مواضع الحروف في الكلمة يؤدي إلى شكل جديد لها ، أو إن شئت إلى كلمة جديدة ، يستطيعون أن يدلوا بها على معنى جديد : وإن قولنا : إن الهيئة الجديدة للكلمة تدل أيضاً على المعنى القديم نفسه الذي كانت تدل عليه الكلمة بهيئتها القديمة ، ليفوّت عليهم غرضهم من تغيير مواضع الحروف .

نعم إن هناك عدداً كبيراً من المجموعات اللغوية المشتركة في المادة أو الحروف قد تشترك في معنى عام ، رغم اختلافها في مواضع حروفها ، ولكن هذا المعنى العام مغاير للمعنى الجزئي الخاص لكل تركيب منها ؛ إن القوة التي نراها في (البُرج) ليست هي التعظيم الذي نراه في معنى (رجب) ، ولاهي من (الجرب) في شيء .

ثم أليس من طبيعة العرب أن يعبروا عن اختلاف المعاني باختلاف حركات الحروف في الكلمة الواحدة دون أن يغيروا مواضعها كما في قولهم : البرّ بكسر الباء ، والبر بفتحها ، والبرّ بضمها . وقولهم : الحب بالحركات الثلاث . وقولهم : القرى بالكسر والضم . وكما في تمييزهم بين اسم الفاعل واسم المفعول من غير الثلاثي بكسر ما قبل الآخر أو فتحه . أفيعمدون إلى المخالفة بين الحركات يعبّرون بها عن المعاني المختلفة ، ويغفلون مواضع الحروف وهو أولى وأوضح . وغير خاف أن هذا الرأي يضيّق الطريق على القائلين بالقيمة التعبيرية للحرف ، إلا أنه لامجال هنا لمناقشة هذا القول .

(١) العنقاء طائر يعرفون اسمه ولا يعرفون شكله ولا حقيقته . ويقال : طالب عنقاء لمن يطلب شيئاً لا وجود له . والعنقاء أيضاً الداهية . يقولون : طارت به العنقاء ، أو : حلقت به عنقاء مغرب . وانظر اللسان (مادة : عنق) .

عمرو ، وأبو الخطاب [1] وعيسى بن عمر ، والأصمعي ، وأبو زيد ، وابن الأعرابي ، والشيباني ، وطائفة : بعض الكلم مشتق ، وبعضه غير مشتق وقالت طائفة من المتأخرين اللغويين : كلّ الكلم مشتق ، ونسب ذلك إلى سيبويه والزجاج . وقالت طائفة من النظار : الكلم كله أصل . والقول الأوسط تخليط لا يعدّ قولاً ، لأنه لو كان كل منها فرعاً للآخر لدار أو تسلسل [2] ، وكلاهما محال ، بل يلزم الدور عيناً ، لأنه يثبت لكل منها أنه فرع ، وبعض ما هو فرع لا بد أنه أصل ، ضرورة أن المشتق كله راجع إليه أيضاً . لا يقال : هو أصل وفرع بوجهين ، لأن الشرط اتحاد المعنى ، والمادة ، وهيئة التركيب ، مع أن كلاً منها حينئذ مفرّع عن الآخر بذلك المعنى .

ثم التغييرات بين الأصل المشتق منه والفرع المشتق خمسة عشر :

الأول ـ زيادة حركة ، كعلِم وعلْم .

الثاني ـ زيادة مادة ، كطالَب وطلَب .

الثالث ـ زيادتها . كضارب وضرب .

---

(١) اسمه عبد الحميد بن عبد المجيد . وهو المعروف بالأخفش الكبير ، وأحد الفلائل الذين روى عنهم سيبويه في الكتاب . وقيل إنه أول من فسر الشعر تحت كل بيت وإنما كانوا قبله إذا فرغوا من القصيدة فسروها . وانظر ترجمته في البغية : ٢٩٦ .

(٢) إذا دار الأمر حتى عاد إلى حيث بدأ ، فذلك هو الدور . وأما إذا تسلسل الأمر وتتابع إلى ما لانهاية ، فذلك هو التسلسل . والكلمتان من اصطلاحات أهل المنطق وعلماء الكلام .

الرابع ـ نقصان حركة ، كالفرْس من الفرَس .

الخامس ـ نقصان مادة ، كثبت وثبات .

السادس ـ نقصانها ، كنزا ونزَوان .

السابع ـ نقصان حركة وزيادة مادة ، كغضْبى وغضب .

الثامن ـ نقص مادة وزيادة حركة ، كحرُم وحرْمان .

التاسع ـ زيادتها مع نقصانها ، كاستنوق من الناقة .

العاشر ـ تغاير الحركتين ، كبطِر بطَراً .

الحادي عشر ـ نقصان حركة وزيادة أخرى وحرف ، كاضرِب من الضرْب .

الثاني عشر ـ نقصان مادة وزيادة أخرى ، كراضع من الرضاعة .

الثالث عشر ـ نقص مـــادة بزيادة أخرى وحركة ، كخاف من الخوف ؛ لأن الفاء ساكنة في خوف لعدم التركيب .

الرابع عشر ـ نقصان حركة وحرف وزيادة حركة فقط ، كعِدْ من الوعدْ ،فيه نقصان الواو وحركتها وزيادة كسرة..

الخامس عشر ـ نقصان حركة وحرف وزيادة حرف، كفاخَر من الفخَار ، نقصت ألف ، وزادت ألف وفتحة .

وإذا ترددت الكلمة بين أصلين في الاشتقاق طلب الترجيح ، وله وجوه :

أحدها ـ الأمكنيّة ، كمَهْدد[1] علماً من الهدّ أو المهد ، فيردّ إلى المهد، لأن باب كرم أمكن وأوسع وأفصح وأخف من باب كرّ ، فيرجح بالأمكنية .

الثاني ـ كون أحد الأصلين أشرف، لأنه أحق بالوضع له ، والنفوس أذكر له وأقبل ، كدوران كلمة (الله) ـ فيمن اشتقها ـ بين الاشتقاق من أَلِهَ ، أو لَوه ، أو ولِه ، فيقال: من أله أشرف وأقرب[2] .

الثالث ـ كونه أظهر وأوضح ، كالإقبال والقبل .

الرابع ـ كونه أخصّ فيرجح على الأعم ، كالفضل والفضيلة ، وقيل عكسه .

الخامس ـ كونه أسهل وأحسن تصرفاً ، كاشتقاق المعارضة من العَرْض بمعنى الظهور ، أو من العُرْض وهو الناحية، فمن الظهور أولى.

السادس ـ كونه أقرب ، والآخر أبعد ، كالعُقار يردّ إلى عقْر الفهم لا إلى أنها تُسكر فتعقر صاحبها .

---

(١) مَهْدد : اسم امرأة . وعن ابن سيده أن ميم مهدد أصلية ؛ إذ لو كانت زائدة لم تكن الكلمة مفكوكة بل كانت مدغمة مثل مسَدّ ومَردّ . وهذا أيضاً رأي سيبويه .
وانظر اللسان (مادة : مهد) .

(٢) أله : تحير . وقال بعضهم إن لفظ الجلالة مشتق منه . وقالو إله أصله ولاه ثم قلبوا الواو همزة كما قلبوها في الوشاح فقالوا إشاح ، ومعنى ولاه أن الخلق يَوْلهون إليه في حوائجهم . وقيل بل هو من أله يأله إلى كذا أي يلجأ . وانظر اللسان (مادة : أله) ففيه رأي الخليل في اشتقاق اسم (الله) تعالى . وقد فصل الزجاجي القول في الموضوع وجمع المذاهب التي قيلت في ذلك في كتابه (تفسير اشتقاق أسماء الله عز وجل وصفاته المستنبطة من التنزيل ، وما يتعلق بها من اللغات والمصادر والتأويل) . وهو كتاب مخطوط لم يطبع .

السابع ـ كونه أليق ، كالهداية بمعنى الدلالة لا بمعنى التقدم ، من الهوادي بمعنى المتقدمات .

الثامن ـ كونه مطلقاً فيرجَّح على المقيَّد ، كالقرْب والمقاربة .

التاسع ـ كونه جوهراً والآخر عرضاً لا يصلح للمصدرية ، ولا شأنه أن يشتق منه ، فإن الردّ إلى الجوهر حينئذ أولى ، لأنه الأسبق ، فإن كان مصدراً تعيّن الردّ إليه ، لأن اشتقاق العرب من الجواهر قليل جداً ، والأكثر من المصادر . ومن الاشتقاق من الجواهر قولهم : استحجر الطين ، واستنوق الجمل .

فوائد : الأولى ـ قال في شرح التسهيل [1] : الأعلام غالبها منقول بخلاف اسماء الأجناس ، فلذلك قلّ أن يشتق اسم جنس ، لأنه أصل مرتجل . قال بعضهم : فإن صح فيه اشتقاق حمل عليه . قيل : ومنه غراب من الاغتراب ، وجراد من الجرْد .

وقال في الارتشاف [1] : الأصل في الاشتقاق أن يكون من المصادر ، وأصدق ما يكون في الأفعال المزيدة ، والصفات منها ، واسماء المصادر ، والزمان ، والمكان ، ويغلب في العلم ، ويقلّ في اسماء الأجناس ، كغراب يمكن أن يشتق من الاغتراب ، وجراد من الجرد .

(١) يعني أبا حيان أثير الدين النحوي الأندلسي ، من أعلام النحاة في عصره . مات سنة ٧٤٥ هـ ومن آثاره : التذييل والتكميل في شرح التسهيل ، ـ والتسهيل كتاب لابن مالك . وكان أبو حيان كثير الإعجاب به ـ وارتشاف الضرب من لسان العرب . وكان السيوطي معجباً بأبي حيان ، كثير النقل لآرائه ، وقد ذكر كتابيه شرح التسهيل والارتشاف ثم قال : « ولم يؤلف في العربية أعظم من هذين الكتابين ، ولا أجمع ، ولا أحصى للخلاف والأحوال ... » وانظر ترجمة أبي حيان في البغية : ١٢٢ .

والثانية ـ قال في شرح التسهيل أيضاً : التصريف أعمّ من الاشتقاق لأن بناء مثل قردَد من الضرب يسمى تصريفاً ، ولا يسمى اشتقاقاً ، لأنه خاص بما بنته العرب .

الثالثة ـ أفرد الاشتقاق بالتأليف جماعة من المتقدمين ، منهم الأصمعي وقُطرُب [1] ، وأبو الحسن الأخفش ، وأبو نصر الباهلي ، والمفضّل ابن سلمة ، والمبرّد ، وابن دريد ، والزجّاج ، وابن السراج ، والرماني والنحاس ، وابن خالويه .

الرابعة ـ قال الجواليقي في (المعرب) : قال ابن السراج في رسالته في الاشتقاق : مما ينبغي أن يحذر كل الحذر أن يُشتق في لغة العرب شيء من لغة العجم ، قال : فيكون بمنزلة من ادعى أن الطير ولد الحوت .

الخامسة ـ في مثال من الاشتقاق الأكبر : مما ذكره الزجّاج في كتابه قال : قولهم : شجرت فلاناً بالرمح ، تأويله : جعلته فيه كالغصن في الشجرة . وقولهم : للحلقوم وما يتصل به : شجْر ، لأنه مع ما يتصل به كأغصان الشجرة . وتشاجر القوم ، إنما تأويله اختلفوا كاختلاف أغصان الشجرة . وكل ما تفرع من هذا الباب فأصله الشجرة .

ويروى عن شيبة بن عثمان قال : أتيت النبي ﷺ يوم حنين ، فإذا العباس آخذ بلجام بغلته قد شجرها [2] .

---

(١) هو محمد بن المستنير ، تلميذ سيبويه . مات سنة ٢٠٦ . وانظر ترجمته في البغية : ١٠٤ وإنباه الرواة ٣ : ٣١٩ .

(٢) في اللسان (مادة : شجر) : وفي حديث العباس قال : كنت آخذاً بحكمة بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وقد شجرتها بها ، أي ضربتها بلجامها أكفها حتى فتحت فاها . وفي رواية : والعباس يشجرها أو يشتجرها بلجامها .
وفيه أيضاً ما سُمك ورفع فقد شُجر . وشجر الشجرة : رفع ما تدلى من أغصانها .

قال أبو نصر صاحب الأصمعي : معنى قوله : « قد شجرها » أي رفع رأسها إلى فوق، يقال : شجرت أغصان الشجرة إذا تدلّت فرفعتها. والشِّجار مركب يُتخذ للشيخ الكبير ، ومن منعته العلة من الحركة ولم يؤمن عليه السقوط ، تشبيهاً بالشجرة الملتفّة[1] ، والنخيل يسمى الشجر[2] ، قال الشاعر :

وأخبث طلع طلعكن لأهله وأنكرما خُيرتَ من شجرات[3]

والمرعى يقال له الشجر لاختلاف نبته ، وشجرني عن الأمر كذا وكذا ، معناه صرفني ، وتأويله أنه اختلف رأيي كاختلاف الشجر ، والباب واحد ، وكذلك شجر بينهم فلان أي اختلف بينهم ، وقد شجر بينهم أمر ، أي وقع بينهم .

وفي قوله : والنخل يسمى الشجر ، فائدة لطيفة ، فإني رأيت في كتاب (عمل من طبّ لمن حبّ) للشيخ بدر الدين الزركشي[4] بخطه : إن النخلة لا تسمى شجرة ، وإن قوله ﷺ فيها : إن من الشجر شجرة

(١) والمشاجر : مراكب النساء ، قيل لها ذلك لتشابك عيدان الهودج بعضها في بعض . وقيل : هي مراكب دون الهودج ، مكشوفة الرؤوس ، واحدها : شِجار .

(٢) وفي اللسان : ولايقال للنخلة شجرة . قال ابن سيده : هذا قول أبي حنيفة في كتابه الموسوم بالنبات . وفيه : الشجر من النبات ماقام على ساق .

(٣) يقال : طَلَع النخلُ ، وأطلع ، وطلع إذا أخرج طلعه وهو نَوْره .

(٤) هو محمد بن عبد الله الزركشي، من أعلام القرن الثامن في الفقه والتفسير والحديث، وصاحب كتاب (البرهان في علوم القرآن) . وقد ترجم له السيوطي في حسن المحاضرة، وابن حجر في الدرر الكامنة ٣ : ٣٩٧ .

لا يسقط ورقها ... الحديث[1]. على سبيل الاستعارة، لإرادة الإلغاز. وما ذكره الزجاج يرده، ويمشي الحديث على الحقيقة.

فائدة ــ قال ابن فارس في المجمل: اشتبه عليّ اشتقاق قولهم «لا أبالي به» غاية الاشتباه، غير أني قرأت في شعر ليلى الأخيلية[2]:

تبالى روّاياهم هبالة بعد مـــا وردن وحول الماء بالجمّ يُرتمى

وقالوا في التفسير: التبالي: المبادرة بالاستقاء، يقال تبالى القوم: إذا تبادورا الماء فاستقَوه، وذلك عند قلة الماء. وقال بعضهم: تبالى القوم، وذلك إذا قلّ الماء ونزح، استقى هذا شيئاً، وينتظر الآخر حتى يجُمّ الماء فيستقي، فإن كان هذا هكذا فلعل قولهم «لا أبالي به»: أي لا أُبادر إلى اقتنائه والانتظار به، بل أنبذه ولا أعتدّ به[3]

---

(١) ... عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن من الشجر شجرة لايسقط ورقها، وهي مَثل المسلم، حدثوني ماهي؟» فوقع الناس في شجر البادية، ووقع في نفسي أنها النخلة، قال عبد الله: فاستحييت، فقالوا: يارسول الله أخبرنا بها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هي النخلة». انظر البخاري (باب الحياء في العلم).

(٢) هي ليلى بنت عبد الله، من بني عامر. اشتهرت بفصاحتها وذكائها وجمالها، كما اشتهرت بأخبارها مع توبة بن الحمير. لقيت عبدالملك بن مروان، واتصلت بالحجاج. وقالت الشعر الجيد. وماتت سنة ٨٠ هـ. وانظر ترجمتها في الأغاني ١١: ٢٠٤.

(٣) وفي اللسان: «بالى بالشيء يبالي به إذا اهتم به. وقيل: اشتقاق باليت من البال، بال النفس، وهو الاكتراث. ومنه أيضاً: لم يخطر ببالي» وروايا: ج راوية، وهي البعير أو البغل أو الحمار الذي يُستقى عليه. قال في الصحاح: والعامة تسمي المزادة راوية، وذلك جائز على الاستعارة.

اشتقاق الدكّان :

فائدة ــ قال ابن دريد [1] : قال أبو عثمان [2] : سمعت الأخفش [3] يقول : الدكان من الدكدك ، وهي أرض فيها غلظ وانبساط ، ومنه اشتقاق ناقة دكاء ، إذا كانت مفترشة السَّنام في ظهرها أو مجبوبته .

لم سميت مِنَى؟

لطيفة ــ قال أبو عبد الله محمد بن المعلّى الأزدي في كتاب الترقيص: حدثني هرون بن زكريا عن البلعيّ عن أبي حاتم قال : سألت الأصمعي لم سُميت مِنىً منى ؟ قال : لا أدري . فلقيت أبا عبيدة فسألته : فقال : لم أكن مع آدم حين علّمه الله الاسماء ، فأسأله عن اشتقاق الاسماء ، فأتيت أبا زيد فسألته ، فقال : سميت منى لما يُمنى [4] فيها من الدماء .

اشتقاق ثادق

وقال ابن خالويه [5] في شرح الدريدية : سمعت ابن دريد يقول : سألت أبا حاتم عن (ثادق) اسم فرس ، من أي شيء اشتق ؟ فقال : لا أدري . فسألت الرياشي عنه ، فقال : يامعشر الصبيان ، إنكم لتتعمقون

(١) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد ، إمام في اللغة والأدب . وهو صاحب المقصورة المشهورة بالدريدية . وصاحب الجمهرة ، وكتاب الاشتقاق . توفي سنة ٣٢١ هـ .

(٢) ذكرت ترجمته في ص ١١٣ ومعجم الأدباء ٧ : ١٠٧ وإنباه الرواة ١ : ٢٤٦ .

(٣) إذا أطلق الأخفش يراد الأوسط ، وقد ترجمنا له في ص ١٥ .

(٤) أي يراق .

(٥) سبقت ترجمته في ص ١١٧ .

في العلم ، فسألت أبا عثمان الأشناندانى عنه ، فقال : يقال : ثدَق المطر إذا سال وانصبَّ ، فهو ثادق ، فاشتقاقه من هذا .

اشتقاق الخيل

فائدة ــ قال أبو بكر الزبيدي [1] في طبقات النحويين : سئل أبو عمرو بن العلاء عن اشتقاق الخيل ، فلم يعرف ، فمرّ أعرابي محرم فأراد السائل سؤال الأعرابي ، فقال له أبو عمرو : دعني فإني ألطف بسؤاله وأعرف ، فسأله . فقال الأعرابي : استفاد الاسم من فعل السير . فلم يعرف من حضر ما أراد الأعرابي ، فسألوا أبا عمرو عن ذلك ، فقال : ذهب إلى الخيلاء التي في الخيل والعجْب ، ألا تراها تمشي العِرَضْنة [2] خيلاء وتكبرا .

فائدة ــ قال حمزة بن الحسن الاصبهاني [3] في كتاب (الموازنة) : كان الزّجاج يزعم أن كل لفظتين اتفقتا ببعض الحروف ، وإن نقصت حروف إحداهما عن حروف الأخرى ، فإن إحداهما مشتقة من الأخرى ، فتقول : الرّحل مشتق من الرحيل ، والثور إنما سمي ثوراً لأنه يثير الأرض ، والثوب إنما إنما سمي ثوباً لأنه ثاب لباساً بعد أن كان غزلاً .

(١) هو محمد بن الحسن ، من علماء الأندلس باللغة والأدب . صاحب (مختصر العين) و (طبقات النحويين واللغويين) مات سنة ٣٧٩ .

(٢) العِرَضنَة والعِرضنَى : عدو للفرس : تعدو فيه مرة من وجه ومرة من آخر ، وذلك من نشاطها .

(٣) ممن ألف في التاريخ والأدب . وكتابه (الخصائص والموازنة بين العربية والفارسية) وقيل (الموازنة بين العربي والعجمي) ألفه لعضد الدولة . وله مؤلفات كثيرة . وانظر ترجمته في إنباه الرواة ١ : ٣٣٥ .

حسيبه الله ، كذا قال .

. . . . قال : وحكى يحيى بن علي بن يحيى المنجم أنه سأله بحضرة عبد الله بن أحمد بن حمدون النديم : من أي شيء اشتق الجِرجير[1] ؟ فقال : لأن الريح تجرجره . قال : وما معنى تجرجره ؟ قال : تجرّره . قال : ومن هذا قيل للحبل الجرير ، لأنه يجر على الأرض . قال : والجرّة لم سميت جرّة ؟ قال : لأنها تجرّ على الأرض . فقال : لو جرّت على الأرض لانكسرت ! . قال : فالمجرّة لم سميت مجرة ؟ قال : لأن الله جرّها في السماء جراً . قال : فالجُرجور الذي هو اسم المائة من الإبل، لم سميت به ؟ فقال : لأنها تجرّ بالأزمّة وتقاد . قال : فالفصيل المجَرّ الذي شق طرف لسانه لئلا يرضع أمه[2] ، ما قولك فيه ؟ قال : لأنهم جروا لسانه حتى قطعوه . قال : فإن جروا أذنه فقطعوها تسميه مُجرّاً ؟ قال : لايجوز ذلك . فقال يحيى بن علي : قد نقضْت العلة التي أتيت بها على نفسك ، ومن لم يدر أن هذا مناقضة فلا حس له .

---

(١) نوع من البقل .

(٢) يقال : أجْررت لسان الفصيل أي شققته

مسرد الموضوعات

٣ مقدمة

٥ مؤلف كتاب الخصائص

٩ آثار ابن جنى

١٠ كتاب الخصائص

١٣ مصادر ترجمة ابن جنى

١٤ **النص الأول :**

باب في هذه اللغة : أفي وقت واحد وضعت أم تلاحق تابع منها بفارط؟

٢٨ **النص الثاني :**

باب في تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني

٥٤ **النص الثالث :**

باب في الاشتقاق الأكبر

٦٢ **النص الرابع :**

باب في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني

٧٢ **النص الخامس :**

باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني

٩٢ صاحب كتاب المزهر في علوم اللغة

٩٤ من مؤلفات السيوطي

٩٦ كتاب المزهر في علوم اللغة

٩٨ مصادر ترجمة السيوطي
٩٩ **النص السادس :**
المناسبة بين اللفظ ومدلوله .
١٠٨ **النص السابع :**
معرفة المطرد والشاذ
١١٨ **النص الثامن :**
معرفة خصائص اللغة
١٥٥ **النص التاسع :**
معرفة الاشتقاق
١٦٢ فوائد

* * *

جنيف
٢٠١٥